

سفيان الثوري

أمير المؤمنين في الحديث

دكتور عبد الحليم محمود

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
« ربَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وهيِّئْ لنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً » .

مقدّمة

إن صلتي بأمير المؤمنين في الحديث ، ترجع إلى عهد بعيد .

ولقد بدأت هذه الصلة بطريق المصادفة البحتة فما كان فى ذهنى أن أبحث عن الثورى ، وما كانت غايتى أن أعرف عنه شيئاً ، وإنما كنت أبحث بين ثنايا الكتب ، عن ولى الله إبراهيم بن أدهم . وتناولت — وأنا بصدد البحث — كتاب : « نتائج الأفكار القدسية » وهو الحاشية التي كتبها السيد مصطفى العروسى على شرح الرسالة القشيرية ؛ الذى كتبه شيخ الإسلام : زكريا الأنصارى ، فإذا الشارح يقول عن إبراهيم ابن أدهم :

« . . **ثم دخل مكة ، وصحب بها سفيان الثورى** . . »

ونظرت بحكم العادة الآلية ، ما يقوله الشيخ العروسى ، عن الثورى ، فإذا هو يقول :

هو سفيان بن سعيد الثورى ، كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث .

ولد سنة سبع وتسعين ، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة ، وتوفى بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة .

وكان عالم هذه الأمة وعابدها ، وزاهدها .

وكان لا يعلِّم أحـــداً العلم حتى يتعلم الأدب ، ولو عشرين سنة .

وكان يقول :

« إذا فسد العلماء ، فمن بقى فى الدنيا يصلحهم ؟ ثم ينشد :

يا معشر العلماء يا ملح البلد   ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وكان سفيان المذكور ، كما حكى عنه فى الطبقات الصغرى ، إذا جلس للعلم وأعجبه منطقه ، يقطع الكلام ، ويقوم ويقول :

« أُخذنا ونحن لا نشعر »

وكان يملى الحديث ويقول :

« والله لو رآنى عمر بن الخطاب لضربنى بالدرة ، وأقامنى ، وقال : مثلك لا يصلح للحديث » .

وكان يقول للناس ، إذا طلبوا منه الحديث :

« والله ما أرى نفسى أهلا لإملاء الحديث ، ولا أنتم أهلا أن تسمعوه ، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال القائل :

« افتضحوا فاصطلحوا »

وكان قد امتنع من الجلوس للعلم ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله ، لأتيتهم فى بيوتهم وعلمتهم ، ولكن إنما يريدون به المباهاة ، وقولهم حدثنا سفيان . . .

إلى آخر ما ذكره عنه صاحب الطبقات ، فارجع إليه إن شئت » اهـ .

لقد وقفت طويلا عند قوله :

« إذا جلس للعلم وأعجبه منطقه ، يقطع الكلام ويقوم ويقول :

« أُخذنا ونحن لا نشعر » .

لقد أخذت أتأمل فى هذه الحادثة ، التي تعبر عن محاولة مخلصة ، للابتعاد عن الفخر والعجب ، وذلك من أجل إخلاص النفس فى حركاتها ، وأفعالها ، وأقوالها ، لله وحده .

إن الناس عادة يباهون بمنطقهم القوى ، وبأقوالهم الحسنة ، وبتعلق الناس بهم ، ويحبون المدح والثناء .

أما سفيان : فإنه حينما كان يجلس للدرس ، فتتعلق الآذان بمنطقه الرائع ، وتتعلق القلوب بمعانيه النفسية ، وتمتد إليه الأعين ، لا تريد أن تفوتها حركة من حركاته ، ويسكت الناس وكأن على رءوسهم الطير ، فيجد سفيان أحياناً لكل ذلك أثراً من الارتياح فى نفسه ، يعتريه مباشرة الخوف من أن يكون ذلك إعجاباً ، أو فخراً ، أو كبرياء : فيستغفر الله ، ويطوى أوراقه ، ويقول كلمته :

« أُخِذنا ونحن لا نشعر » .

جالت هذه المعانى فى نفسي فأكبرت سفيان ، ووجهني هذا الإكبار إلى التأمل فى كل ما ذكره الشيخ العروسى عنه ، فزاد إكبارى له .

ولم أطق صبراً على الجهل به ، فأخذت — فى جد — أبحث عنه هنا وهناك .

لقد وجدت مقداراً لا بأس به فى طبقات المناوى .

ووجدت مقداراً لا بأس به أيضاً فى تاريخ بغـــداد للخطيب البغـــدادى .

ووجدت فصلاً قيماً فى تاريخ الإسلام للذهبي ، تفضل على به العارف بالله الشيخ الحافظ التيجانى ، نسخه لى خاصة من مخطوطة عنده .

وفى تذكرة الحفاظ صفحات جميلة عن الثورى .

وكان أكبر مرجع عثرت عليه فى التأريخ لسفيان هو « حلية الأولياء » لأبى نعيم المحدث المعروف .

وكتاب : تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ، تأليف الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

ووجدت لسفيان متناثرات كثيرة هنا وهناك فى مختلف كتب التصوف .

ولقد تبينت من كل ذلك فى يقين : أن سفيان الثورى جدير – وأكتبها بالخط العريض – بالدراسة .

وجدير بأن ترسم حياته على نهج واضح ، فإن فى هذه الدراسة فوائد علمية فى غاية النفاسة ، وفيها رسم لنموذج إنسانى يتسم بحب الحق ، ويعمل جاهداً طيلة حياته لسيادة الحق فى نفسه ، وفى مجتمعه .

ولقد سرت فى تأليف الكتاب مؤسساً بحثى على كل المصادر التى أمكننى الحصول عليها ، وأوشك بحثى أن ينتهى ، ثم . . .

ثم علمت أن كتاباً فى تفسير القرآن للثورى صدر فى الهند . وكان هذا الخبر مفاجأة كبيرة بالنسبة لى ، حتى لقد ترددت فى تصديقه ، فلما استيقنت من صحته حاولت الحصول على نسخة منه ، وأعترف بأنى بذلت جهداً ليس بالقليل ، حتى يسر الله الحصول على نسخة ، بعنوان :

تفسير القرآن الكريم ، للإمام أبى عبد الله سفيان بن سعيد بن

مسروق الثورى الكوفى ، ٧٧٧/١٦١ ، رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدى عنه ، صححه ، ورتبه ، وعلق عليه : امتياز على عرشي مدير مكتبة رضا ، رامبور ، الهند .

ولقد كتب الأستاذ رضا مقدمة قال فيها ، بعد أن بين أسفه على أن ليس بين أيدينا تفسير لأحد التابعين :

« لكن الله تعالى قد منّ على منة عظيمة ، وفتح لى باباً واسعاً من أبواب الفخر ، أعنى وجدت فى مكتبة رضا برامبور كتاباً صغيراً فى تفسير القرآن لسفيان الثورى الذى كان يقول :

« سلونى عن المناسك والقرآن ، فإنى بهما عالم » .

– فحمدت الله على هذا الفوز العظيم ، وأخذت فى تصحيحه وترتيبه وتحشيته على منوال علمائنا المحققين – وبعد الجهد الطويل المتعب وُفِّقت لأن أقدم إلى علماء الأمة المعاصرين نتائج بحثي وفحصي – فأرجوهم أن يستقبلوه بعين العناية ووجه القبول – والله تعالى هو الموفق والمعين – وهو بالإجابة وإعطاء الأجر جدير » .

والواقع أن الأستاذ امتياز حقق النسخة تحقيقاً ممتازاً ، هو صورة مثالية للعمل العلمى المتقن ، وهو تحقيق يدل على سعة فى الاطلاع ، وعلى أناة فى البحث ، وصبر على المشقة ، فجزاه الله خير الجزاء على ما قـدم من جهد صادق ومن صبر فى تحمل المشقة في سبيل هـذا العمل النفيس .

ورواية أبي جعفر هذه لم تحصر كل ما روى عن سفيان من تفسير ، وهى ليست أكثر من آيات متفرقة من سور القرآن ، لا تُكوِّن تفسيراً كاملاً

للقرآن ، ولا لأكثره ، وإنما هى آيات قليلة من كل سورة وتنتهى بسورة « الطور » .

ومع هـــذه القلة فإنهــا جانب من الجوانب التى كانت تنقصها المكتبة العربية .

ولقد تخيرنا — فقط — نماذج محدودة من هذا التفسير أضفناها إلى ما عثرنا عليه من تفسير للثورى فى الحلية وغيرها من المراجع التى رجعنا إليها ، والتي جمعناها في الفصل الذى جعلنا عنوانه : « الثورى والقرآن » .

وما وجدناه فى المراجع التي بين أيدينا لا يوجد في الأغلب الغالب منه فى رواية أبى جعفر ، ورواية أبى جعفر ، إذن : هى قسم ضئيل من تفسير من كان يقول :

« سلونى عن المناسك والقرآن فإنى بهما عالم »

* * *

وأتممت البحوث بعون من الله .

وإنى إذ أقدمه الآن ، فإنما أقدم صورة لشخصية إسلامية من الطراز الأول ، أقدم صورة إسلامية على مستوى القمة ، أقدم صورة مثالية للشباب وللعلماء ، ولكل من يأمل الوصول إلى الكمال المستطاع .

والحمد لله أولاً وأخيراً ، وأصلى وأسلم على خير المرسلين ، رحمة العالمين ، النور المرسل من رب العالمين .

الفصل الأول

حياته (١)

إنه سفيان بن سعيد الثورى ، ولد سنة خمس وتسعين أو سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة ، كان أبوه من ثقات المحدثين ، ولقد ذكره المؤرخون

---

(١) لعل القارئ يلاحظ أنني فيا كتبت عن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى ، والسيد البدوى رضى الله عنهم ، لم أخصص فصلا للكتابة عن عصر كل منهم ، وإنما بدأت بحياته مباشرة بعد المقدمة ، وإلى إذ أفعل ذلك ، فإنما أفعله متعمداً صادراً عن مبدأ محدد :

إن كثيراً من الذين يكتبون عن العباقرة فى جميع مجالات العبقرية ، يبدءون بكتابة فصل مستفيض أو مختصر عن عصرهم ، ليربطوا بينهم وبين عصرهم ، ويظهروهم كثمار من ثمار العصر الذى عاشوا فيه متأثرين بهذا ، ومقلدين ذاك ، وآخذين عن فلان ، وناقلين عن فلان .

وهذا نهج من البحث لا نرتضيه ، لأننا نكتب عن قوم هم من الأصالة بحيث لا ينزلون إلى مستوى الخضوع لعصرهم .

إننا نكتب عن شخصيات يغيرون وجه الحياة في جانب من جوانبها ، إنهم ليسوا ثمار عصرهم تقليداً وتأثراً ، وهذا النهج من البحث نسير فيه مشاركين الكثير من المفكرين الذين يرون أن العباقرة ليسوا ثمار عصرهم ، ومن خير من كتب فى ذلك الفيلسوف الفرنسى « هنرى برجسون » .

وإننا ننتهز هذه الفرصة — فرصة الكتابة عن أمير المؤمنين فى الحديث — لنقدم

فى أئمة المحدثين الذين أخذ عنهم سفيان ، وكان من غير شك أول من لقن سفيان العلم .

للقراء خلاصة وافية عن رأيه في هذا الموضوع ، وهو رأى نؤمن به ونتبعه فى كل ما كتبنا عن الشخصيات .

لقد عالج الفيلسوف الفرنسى الكبير : « هنرى برجسون » هذه المشكلة التى يتورط فيها بصفة عامة ، كثير من مؤرخي الفلسفة ، عالجها بمنطقه الرصين ، وأسلوبه الفذ ، وخبرته الشاملة ، ودراسته العميقة للمذاهب الفلسفية ، وعالجها كذلك عن طريق خبرته الشخصية كفيلسوف ونحن نلخص هنا رأيه ونهديه إلى مؤرخي الفلسفة عندنا وإلى الكاتبين عن العبقرية : علهم يثوبون إلى شيء من الاعتدال ، يقول الفيلسوف :

إن مؤرخي الفلسفة ينظرون عادة إلى البناء الخارجى للمذهب الفلسفى ، ويفرحون بأن يقولوا لأنفسهم — بعد دراسة الفيلسوف — .

« إننا نعلم مصدر المواد الأولية التى تكون منها مذهبه ، ونعلم كيف تم البناء ، ونرى فى المسائل التى عرضها ، الأسئلة التى كانت تثار حوله ، ونعثر — فى الحلول التى يقدمها — على عناصر الفلسفات السابقة له ، أو التي عاصرته .

فهذه الفكرة أمده بها فلان ، وتلك استمدها من ذاك ، وهكذا لا نستريح حتي نمزق المذهب إلى خرق ، زاعمين أنها هى التى كونت هذه الحالة التى نعجب بها .

بيد أننا حينما نعيد قراءة المذهب ، وحينما نعيد هذه القراءة أيضاً ، لنستقر فى فكر الفيلسوف بدلاً من أن نلف حول مظهره الخارجى ، فإننا نرى أن مذهبه يتخذ وجهاً آخر ، ونرى أجزاء المذهب يتداخل بعضها فى بعض ، وتنصهر كلها فى نقطة واحدة هذه النقطة هى : جوهر مذهب الفيلسوف ، وهى أساسه ، وهى روحه ، ونرى حينئذ — أن مهمتنا فى الواقع — إذا أردنا فهم الفيلسوف على حقيقته — إنما هى : الاقتراب من هذه النقطة ما أمكن .

وهذه النقطة هى التى أراد الفيلسوف طيلة حياته أن يوضحها : فهو يكتب عنها ،

فنشأ سفيان – دون اختيار منه – بين كتب الحديث ، وتفتحت

ثم يرى : أنه لم يعبر عنها فى دقة ، فيعود إلى الكتابة من جديد : عله يكون أكثر توفيقاً فى المرة الثانية منه فى المرة الأولى ، وهكذا يستمر طيلة حياته ولا هم له إلا محاولة إيجاد الانسجام بين هذه النقطة البسيطة التى يشعر بها ، وبين الوسائل التي لديه للتعبير عنها :

كيف بدأت هذه النقطة فى شعوره ؟

إنها بدأت بالنفى والإنكار . إن الفيلسوف فى مبدأ أمره منكر أكثر منه مثبتاً ، ونافٍ أكثر منه مصدقاً ، وثائر أكثر منه مسلماً . .

ولعلنا نذكر جميعاً : كيف كان يعمل الروح الذى سيطر على سقراط :

لقد كان يوقف إرادة الفيلسوف فى لحظة معينة ، ويمنعه عن العمل أكثر مما يحدد له ما يجب عمله .

وإنه ليخيل إلى أن شعور الفيلسوف يسلك فى أحيان كثيرة – فيما يخص التفكير النظرى – مسلك الروح الذى سيطر على سقراط بالنسبة للجانب العملى : فكثيراً ما يجد الفيلسوف نفسه أمام آراء تصادف القبول العام ، ونظريات تبدو مؤكدة ، وأقوال يعتبرها الناس علمية ، بيد أن شعوره يهمس فى أذنه بكلمة : مستحيل . . مستحيل حتى ولو تكاتفت كل الأسباب والظواهر على أن ذلك حق ثابت . . مستحيل ، حتى ولو كان الجميع يؤمنون بأنه يقينى . .

ويبدأ الفيلسوف – أول ما يبدأ – بإنكار الكثير مما تعارف الناس على أنه صواب وتزييف ما يرى الوسط الذى يعيش فيه أنه حقيقة .

وما من شك : فى أن المشاكل التى عنى بها الفيلسوف هى : المشاكل التي أثيرت فى عصره ، وأن العلم الذى استعمله أو نقده ، كان علم زمنه ، وأنه يمكننا أن نعثر – فى النظريات التى يعرضها – على كثير من الآراء التى لمعاصريه ، أو لسابقيه .

وكيف يكون الأمر على خلاف ذلك ؟ ؟

عيناه على جو من العلم ، يتسم بعبير النبوة ، ويسوده جوامع الكلم [1] ، واتجه آليًّا فى دراسته وجهة أبيه ، وفى ذلك يقول هو :

« طلبت العلم فلم تكن لى نية ، ثم رزقنى الله النية » .

إن الإنسان إذا أراد أن يشرح الجديد وينشره ، لابد له من أن يعبر عنه معتمداً على القديم ، مستخدماً المشاكل التى سبق عرضها ، والحلول التي عولجت بها ، وباختصار : الفلسفة والعلم اللذين كانا فى عهده . . إن ذلك : — فيما يخص كبار المفكرين — إنما هو : المادة التي يضطرون إلى استخدامها ليخلعوا على فكرهم صورة مفهومة . .

ولكننا نخطئ الخطأ كله ، حينما نعتبر كل ذلك عناصر أساسية في المذهب ، بينما هى لم تعد أن تكون وسيلة للتعبير عن المذهب ، وسيلة فحسب . .

وما من شك في أن كل مذهب من مذاهب كبار الفلاسفة : يحتوى على عدد لا يحصى من أوجه الشبه الجزئية ، التى تلفت نظرنا ، ومن أوجه التقارب . . . كل ذلك حق ، ولكن ذلك كله ليس إلا مظهراً خارجياً ، أما أساس المذهب ، وجوهره ، وروحه ، فإنه شيء آخر ، إن الفيلسوف لم يقل طيلة حياته إلا شيئاً واحداً ، ولقد استنفد جهده فى محاولة التعبير عنه — بشتى الصور — فى دقة . ثم يختم الفيلسوف : برجسون كلمته بهذه الفكرة الجريئة الحاسمة :

« كان من الممكن أن يجيء الفيلسوف قبل زمنه الذى عاش فيه أو بعده ، بعدة قرون ، وكان من الممكن أن يعالج فلسفة أخرى ، وعلماً آخر ، ومشاكل من نمط مختلف ، ويستعمل تعبيراً من نوع آخر ، وكان من الممكن ألا يكون أى فصل مما كتب على ما هو عليه . . . ومع ذلك كان يقول نفس الشيء ، وما كان ليتأتي بحال أن يختلف روح المذهب ولا جوهره . إن الفيلسوف لا يبدأ من إنكار سابقة له فى الوجود ، وأكثر ما يمكن أن يقال : إنه يصل إليها » أ هـ .

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « أعطيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصاراً » . أخرجه أبو يعلى فى مسنده .

أى أنه طلب العلم أولا بحكم العادة البحتة ، ثم وفقه الله سبحانه لأن يقصد به وجه الله .

ولكن مما يجدر ملاحظته أن المحدثين إذ ذاك ما كانوا يأخذون على الحديث أجراً .

لقد كانوا يتمثلون قوله تعالى :

« قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ، إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعالَمِينَ »(١).

ويبدو أن والد سفيان لم يكن من ذوى الثراء العريض ، ويبدو أن سفيان وإن كان قد نشأ فى جو علمى فيه ، النور ، والإشراق ، والصفاء وفيه باستمرار ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصلاة عليه أكثر من مرة فى كل يوم . . . ، فإنه نشأ مع ذلك فى جو من التقشف .

بيد أن جو الأسرة – على ما يبدو – كان جواًّ كريماً ، فقد كانت أم سفيان من النساء الحصيفات التقيات ، لقد كانت ذات عقل وذات تقوى .

انظر إلى عقلها وتقواها فى نصيحتها لسفيان :

عن وكيع ، العالم المعروف ، أن والدة سفيان قالت له :

« يا بنى ، اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلى .

وإذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى في نفسك زيادة فى الخير ، فإن لم تر ذلك فلا تتعبن نفسك » .

ويكفينا هذه الكلمة لنأخذ منها :

١ – أن الجو الذى كان يعيش فيه سفيان كان جو تقشف .

---

(١) الأنعام آية : ٩٠ .

٢ – أن هذا الجو كان يتسم بالتقوى والصلاح .

ونشأ سفيان بين أب « من ثقات المحدثين » وأم تريد أن تعوله بمغزلها ، ليطلب العلم من أجل زيادة النور فى قلبه .

لم تكن الأم تفكر لابنها – من وراء تعليمه – فى الجاه ، أو الثراء ، وإنما كانت تفكر فى أن يزداد الخير في نفسه .

ونظرة الأم إلى هدف العلم ، إنما هى النظرة التى كانت تسود فى البيئة إذ ذاك .

لقد تربت عليها البيئة الإسلامية منذ :

« إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ » .

ومنذ : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ » .

ولقد كانت البيئة حينئذ تتمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه أبو داود والترمذى :

« من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً ، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » .

وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع .

وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب .

وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه ، أخذ بحظ وافر » .

وبدأ سفيان يتعلم ، اتباعاً لأبيه ، واستجابة لرغبة أمه .

ولكن سفيان بمجرد أن دخل فى دور الشباب ، بدأ يفكر جدياً فى أمر معيشته ، وليس من الطبيعى أن يغتبط سفيان – وهو صاحب

الفطرة الصافية – بأن تعوله أمه بمغزلها ، أو أن تستمر أمه فى إعالته بمغزلها .

يقول سفيان فيما رواه يحيى بن يمان :

لما هممت بطلب الحديث ورأيت العلم يدرس ، قلت : أى رب ، إنه لا بد لى من معيشة ، فاكفنى أمر الرزق ، وفرغنى لطلبه ، فتشاغلت بالطلب فلم أر إلا خيراً .

بيد أن سفيان تنبه بسرعة إلى أن المال ضرورى للإنسان على أى وضع كان الإنسان .

إنه ضرورى له ، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون متعبداً ، وضرورى له ، لو أراد أن يسير فى حياته على أن يكون عالماً .

والعابد لا يأخذ على عبادته أجراً ، والعالم لا يأخذ على علمه أجراً ، لا بد إذن من التكسب ومن المال .

يقول سفيان هذه الكلمة المدوية :

• عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال .

ولما سئل عن الحلال ما هو ؟ قال :

تجارة برة ، أو عطاء من إمام عادل ، أو صلة من أخ مؤمن ، أو ميراث لم يخالطه شىء » اهـ .

ويقول هذه الكلمة المدوية أيضاً :

« لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها ، أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس » اهـ .

ويقول لهؤلاء الذين يريدون أن يلتزموا المساجد ، أو الخلوات للعبادة ،

يقول لكل منهم :

« إذا أردت أن تتعبد فاحْرِزْ الحنطة » .

أى ليكن قوتك موفوراً عندك من كسبك . . .

ويعزز سفيان قوله بإخبار العباد بأنه مكتوب فى التوراة : إذا كان فى البيت بُرٌّ فتعبد ، وإذا لم يكن فالتمس .

ولقد كان سفيان معنياً بالعُبَّاد ، يريد دائماً أن يكونوا أعزة بالله ، إنه يخاطبهم كلما صادفهم قائلا :

« يا عبَّاد ، ارفعوا رءوسكم : فقد وضح الطريق ، ولا تكونوا عالة على الناس » .

ويقول يحيي بن يمان ، قلت لسفيان الثورى : يا أبا عبد الله ، أين تطيب العبادة ؟ قال :

حيث جوالق من خبز بدرهم حتي لا يمد أحد عينه إلى أحد » اهـ

والمال لا بد منه للمؤمن لمجرد وصف الإيمان ، وذلك أن الإيمان يتضمن ألا يهين الإنسان نفسه بالمسألة ، وألاَّ يريق ماء وجهه بسبب الحاجة .

يقول سفيان :

« كان المال فيما مضى يكره ، فأما اليوم فهو ترس المؤمن » .

ومن أجل كل ذلك طلب سفيان المال عن طريق التجارة ، وسافر متاجراً ، ولم يعبأ بالبعض عند ما عابوا عليه السفر للتجارة :

يروى عبد الرازق ، أن سفيان سافر إلى اليمن متاجراً ، فلما حضر من اليمن ذهب إليه ابن عيينة ، فسلم عليه ورد وهو متكئ على عصاه ، فقال ابن عينية : يا أبا عبد الله ، عاب الناس عليك خروجك إلى

اليمن ، فقال :

« عابوا غير معيب ، طلب الحلال شديد ، خرجت أريده » ا هـ

لم يعبأ بمن عابوا عليه السفر للتجارة ، ولقد أخذ مرة من رجل أربعة آلاف درهم مضاربة ، فاشترى بها متاعاً مما يباع باليمن ، فأخذه معه فربح فيه نفقته .

لقد خرج إلى اليمن يلتمس الحلال بالتجارة .

ولقد فعل أكثر من ذلك : لقد كان يعطى بعض الناس مالاً يتجرون فيه لحسابه : يقول ابن سعد ، قال الواقدى :

كان سفيان يأتى اليمن يتجر ويفرق ما عنده على قوم يتجرون له ، ويلقاهم فى الموسم يحاسبهم ويأخذ الربح » ا هـ .

وقال مبارك بن سعيد : «كانت له معى بضاعة» اهـ .

ويوصى سفيان من عنده قدر من المال ، أن يصلحه أى يثمره :

« من كان فى يده من هذه شيء – كما يقول – فليصلحه ، فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه » ا هـ .

ولقد كان سفيان يمقت هؤلاء الذين يقفون بباب السلطان طلباً للمال ، أو الذين يبيعون دينهم بدنيا السلطان ، أو الذين يداهنون ويتملقون الأمراء والملوك ، ويقول عن هؤلاء وأولئك :

« إن عامة من داخل هؤلاء (أى الأمراء) إنما دفعهم إلى ذلك العيال والحاجة » .

ويقول لأحدهم :

« يا شيخ ، وُلى فلان فكتبت له (أى كنت سكرتيراً له) ، ثم عزل

وولى فلان فكتبت له ، ثم عزل ، وولى فلان فكتبت له .

وأنت يوم القيامة أسوؤهم حالا : يدعى بالأول فيُسأل ، ويدعى بك فتُسأل معه ، عما جرى على يدك له ، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر فيسأل وتسأل أنت عما جرى على يدك له ، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر : فأنت يوم القيامة أسوؤهم حالا .

فقال الشيخ : فكيف أصنع يا أبا عبد الله بعيالى ؟ فقال سفيان : اسمعوا هذا يقول : إذا عصى الله رَزَق عياله ، وإذا أطاع الله ضيَّعَ عياله ؟ » ا ه .

لقد كان لسفيان تجارة ، وكانت له بضاعة : يقول يوسف بن أسباط :

كانت له بضاعة مع بعض إخوانه ، وكان يقول : ما كانت العدة – أى المال المعد – فى زمان أصلح منها فى هذا الزمان .

وما من شك فى أن المال السائل الذى كان يتصرف فيه سفيان لم يكن كثيراً ، فقد روى أحمد العجلى أن بضاعة سفيان كانت ألفى درهم ، وهو مبلغ معقول بالنسبة لرجل لم يكن همه فى قليل ولا فى كثير التجارة للغنى ، وإنما ليمسك الرمق .

وكان سفيان يدخر المال للحاجة ؛ يقول عبد الله بن محمد الباهلى :

« جاء رجل إلى الثورى ، فقال : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير ؟ وكان فى يد سفيان خمسون ديناراً .

فقال : اسكت : لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك .

أى لجعلونا فى أيديهم كالمناديل يتمسحون بها ، ويقضون بها مآربهم

وقال أبو نعيم ، قال سفيان :

« لولا بضاعتنا لتلاعب بنا هؤلاء » (يعني الحكام والأمراء) .

ومع كل ذلك فما كان سفيان صاحب ثراء عريض ، وما كان ليتمنى أن يكون صاحب ثراء عريض ، كلا . لقد وهب نفسه للعلم ، ووهبها للعلم لوجه الله سبحانه ، وما كان هدفه من المال إلا حفظ ماء وجهه ، ولم تكن رسالته جمع المال ، وإنما كانت رسالته إذاعة التراث النبوى ، تراث محمد صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ، ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

لقد اقتصر سفيان من المال على الحد الذى لا بد منه لحياة لا تتطلب ترفاً ولا متعة ، فما كان ترفه إلا فى العلم والعبادة .

ولما مات رضى الله عنه خلف – كما يقول يوسف بن أسباط – مائتى دينار كانت عند رجل يتبضع له بها ، وهذا المبلغ هو كل ما خلفه سفيان .

والذى نريد أن نقوله بعد كل ذلك هو أن سفيان كان يسير على النسق الإسلامى المستقيم فيما يتعلق بالعلماء : خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النسق هو ألا يسيروا فى ركاب الملوك والأمراء من أجل الرزق ، وإنما يكتسبون رزقهم ويحفظون ماء وجههم ويعتزون بالله ، وينشرون رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن العلم

لقد كانت شهرة سفيان تزداد كل يوم .

ولكن سفيان لم يغتر بشهرته ، وإنما زادته هذه الشهرة محاسبة لنفسه

فى علمه وفى تقواه .

وكان لا بد من أن يزداد كل يوم علماً ، ومن أن يكون من التقوى : بحيث تصبح له سلوكاً وحالاً ، وانغمس سفيان فى العلم .

يقول مسكين بن بكير الحراني : سمعت سفيان الثورى يقول :

« لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا » .

ويقول سفيان :

« الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم » .

وليس هناك عمل بعد الفرائض – فيما يرى الثورى – أفضل من طلب العلم .

ويرسم الثورى الخطوات التى تتبع بالنسبة للعلم :

يروى مزاحم بن زفر هذه الخطوات عن الثورى :

« إنما هو طلبه ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم نشره » .

ولما سمع ذلك أبو بكر بن عياش أخذ يقول لمزاحم : أعده على كيف قال ؟

ويحدث المهدى أبو عبد الله فيقول : سمعت سفيان الثورى يقول :

كان يقال : أول العلم : الصمت ، والثانى : الاستماع إليه وحفظه ، والثالث : العمل به ، والرابع نشره وتعليمه .

أما هدف العلم : فإن سفيان كان يستفيض فيه كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، ويروى فيه ما يحفظ من أحاديث .

فعن سفيان عن محمد بن عمارة المدنى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن رجل ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من تعلم العلم ليمارى به العلماء ، أو يجارى به السفهاء ، أو يتأكل به الناس ، فالنار أولى به » .

ويحدث عبد الله بن داود فيقول : قال سفيان الثورى :

« إنما يطلب العلم ليتقى الله به ، فمن ثم فُضِّل ، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء » .

وعن أحمد بن يونس يقول سمعت سفيان الثورى يقول :

« ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل » .

ويختصر سفيان أحياناً الهدف من العلم فيقول :

« إنما فضل العلم على غيره ، ليتقى الله به » .

ولقد سئل سفيان الثورى : طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله ، أو العمل ؟ فقال :

إنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ، ولا تدع العمل لطلب العلم » .

ويتجه سفيان إلى العلماء فيقول لهم :

الأعمال السيئة داء ، والعلماء دواء ، فإذا فسد العلماء ، فمن يشفى الداء ؟

« زينوا العلم بأنفسكم ، ولا تزينوا بالعلم » .

وكان الثورى إذا لقى شيخاً سأله ، هل سمعت من العلم شيئاً ؟

فإن قال : لا . قال : « لا جزاك الله عن الإسلام خيراً » .

ويتجه إلى الشباب من العرب فيقول :

« اطلبوا العلم ويحكم ، فإني أخاف أن يخرج منكم ، فيصير فى غيركم ، اطلبوه ويحكم ، فإنه عز وشرف في الدنيا والآخرة » .

وأخذت الأيام تسير بسفيان ، وأخذت شهرته مع الأيام تزداد ، وإذا به يبلغ حداً من النضج ، ومن العلم يعز على من رامه ويطول ، فيذيع اسمه فى ربوع الإسلام ويقدره الناس أينما حلَّ . يقدرونه لتقواه ، ويقدرونه لعلمه ، ويقدرونه لخلقه الطيب فى الله سبحانه .

ويقدرونه لزهده ، ويقدرونه لفضائل أخرى كثيرة .

بل لقد أخذ الناس يعدون مناقبه ، ومن ذلك مثلا ما رواه شعيب بن حرب ، قال :

ذكروا سفيان الثورى عند عاصم بن محمد ، فذكروا مناقبه ، حتى عدوا خمس عشرة منقبة ، فقال :

فرغتم ؟ إنى لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها : سلامة صدره لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الصيغة التى ذكرها عاصم بن محمد لها قيمتها الكبرى فى كل زمن ، وخصوصاً حينما يحاول الضالون المنحرفون أن يحطوا من شأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ينزلوا بقيمهم ، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ويعد ابن المبارك بعض ما تحلى به سفيان فيقول :

« تعجبنى مجالسة سفيان الثورى ، كنت إذا شئت رأيته فى الورع ، وإذا شئت رأيته مصلياً ، وإذا شئت رأيته غائصاً فى الفقه » .

ويشبه هذا ما ذكره أحمد بن يونس ، قال :

« ما رأيت أحداً أعلم من سفيان ، ولا أروع من سفيان ، ولا أفقه من سفيان ، ولا أزهد من سفيان » .

وعن أيوب بن سويد قال : سمعت المثنى بن الصباح ، وذكر سفيان الثورى ، فقال : عالم الأمة وعابدها .

وهو وصف دقيق لسفيان ، فى غاية الإيجاز .

وعن علم سفيان يقول أيوب بن سويد :

ما سألنا سفيان الثورى عن شيء إلا وجدنا عنده أثراً ماضياً ، أو أثراً من عالم قبله ، ولقد وثق الناس بالثورى فى الحديث وغيره ، يقول أبو أسامة :

سفيان الثورى : حجة .

أما سفيان بن عيينة ، وقد كان فى زمن سفيان الثورى ، وكان عالماً ومحدثاً وفقيهاً ، فإنه يتحدث عن أئمة الناس النابهين إلى عصره فيحصرهم فى ثلاثة أحدهم سفيان ، إنه يقول :

« أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ابن عباس فى زمانه .

والشعبى فى زمانه .

وسفيان الثورى فى زمانه .

وينتهى بشر بن الحارث فى رأيه عن سفيان بقوله :

« كان سفيان الثورى عندى إمام الناس » .

وقال الشيخ أبو نعيم رحمة الله تعالى عليه :

الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى رحمة الله تعالى عليه ، فى غزارة علمه ، ورواياته : كالبحر الذى لا ينزف ، والسيل الذى لا يصرف ، عدلنا عن ذكر شيوخه إلى الاقتصار على طرف من رقائق حديثه » .

أما شيوخه فى العلم الذين عدل أبو نعيم عن ذكرهم ، فقد عدّ منهم المؤرخون كثيراً ، منهم :

عمرو بن مرة ، ومسلمة بن كهيل ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعمرو ابن دينار ، وعبد الله بن دينار ، وسعيد بن مسروق والد سفيان ، والأسود ابن قيس . .

« وخلق لا يحصون » كما يقول ابن الجوزى .

ويقول بعض المؤرخين :

« يقال إنه أخذ العلم عن ستمائة شيخ » .

وينتقد الذهبي ابن الجوزى ويرميه بالمبالغة ، لأنه ذكر فى مناقب الثورى ، أنه روى عن أكثر من عشرين ألفاً ، ويقول :

« وهذا مدفوع بل لعله روى عن نحو من ألف » .

أما عن تلاميذ الثورى ، فإن ابن الجوزى وغيره يعدون الكثير منهم بأسمائهم ، وأحياناً بصفاتهم ؛ وقد كان الناس يتسابقون إلى مجلسه فى العلم ويقفون بباب داره منتظرين خروجه . .

وليس من المبالغة إذن أن يقول ابن الجوزى عن تلاميذ الثورى :

« وقد حدث عنه خلق لا يحصون » .

ثم يقول :

« وآخر ثقة روى عنه ، هو على بن الجعد » .

تقـــديره

قدر العلماء سفيان الثورى فى حياته ، وبعد مماته ، تقديراً جميلا كريماً ، يستأهله الرجل الذى وهب نفسه للعلم ، فأبو نعيم يفتتح الحديث عنه بقوله :

« ومنهم الإمام المرضي ، والورع الدرى ، أبو عبد الله سفيان ابن سعيد الثورى ، رضى الله تعالى عنه .

كانت له النكت الرائقة ، والنتف الفائقة ، مسلم له فى الإمامة ، ومثبت به الرعاية ، العلم حليفه ، والزهد أليفه » .

ويقول سفيان بن عيينه :

« ما رأيت أحداً أفضل من سفيان ، ولا أرى سفيان مثل نفسه » .

وإبراهيم بن محمد الشافعى يسأل عبد الله بن المبارك :

هل رأيت مثل سفيان الثورى ؟

فيقول ابن المبارك :

« وهل رأى سفيان الثورى مثل نفسه ؟ »

ولقد وصل الأمر بأبى بكر بن عياش أن يقول :

« إنى لأرى الرجل يصحب سفيان فيعظم » .

ويحدث عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فيقول : سمعت أبى يقول : « كان يحيي بن سعيد ، لا يعدل بسفيان الثورى أحداً » .

ولقد سبق أن ذكرنا من تقدير العلماء للثورى الكثير وسنذكر من ذلك الكثير أيضاً فى الفصول التالية .

شعور سفيان بالمسئولية

ومن أجل كل ذلك : كان سفيان شاعراً كل الشعور بمسئوليته أمام الله سبحانه وتعالى ؛ لقد علم فى وضوح ، أن الناس يتخذونه قدوة ، وأنهم يتأسون به فى كل ما يأتى وما يدع .

ولقد شعر فى يقين بأكثر من هذا ، شعر بأن الناس فى نقصهم ، وقصورهم ، وعجزهم ، محتاجون إلى نموذج أخلاقى عال ، يحيى فى نفوسهم الثقة التى يرونها تتزلزل فى قادتهم الأخلاقيين ، ويحيى فى نفوسهم شيئاً من ثقة بعضهم فى بعض .

وراقب سفيان ربه فى كل ما يصدر عنه من يسير أو كبير ، راقبه باطناً ، وراقبه ظاهراً ؛ وما كان سفيان متكلفاً فى ذلك ، فإن الله قد منحه فطرة طاهرة ، صقلها بجهاده فى الله وبتقواه :

يحدث الهيثم بن جميل فيقول ؛ سمعت شريكاً يقول :

« إن الله تعالى لا يدع الأرض من حجة ، تكون لله على عباده ، يقول لهم :

ما منعكم أن تكونوا مثل فلان ، قال شريك : ونرى أن سفيان الثورى منهم » اهـ .

إن العالم محتاج إلى نماذج فى كل عصر كأنها مصابيح يهتدى بها الضال ، ويستنير بها من يحبون الخروج من الظلمات .

إنه محتاج إلى أئمة يلجأ إليها الحيارى ، ويسترشد بها التائهون فى صحراء الشكوك والأوهام .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبين ذلك فى أحاديث صحيحة ، منها مثلا ما رواه الإمام البخارى وغيره ، والذى معناه :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة » .

إن الله سبحانه وتعالى لا يخلى العالم من الظاهرين على الحق فى أنفسهم ، ومن الظاهرين على الحق فى أُسرهم ، ومن الظاهرين على الحق فى مجتمعهم . . . إلى أن تقوم الساعة .

ولقد حاول سفيان ما إستطاع ، طيلة حياته ، أن يكون كما أحب الله ورسوله ، وكان من أوائل ما يصادف أمثال سفيان من المشاهير ، إنما هو المنزلق الذى يهوى بالكثيرين ، والشَّرك الذى وقع فيه من لا يحصون عدداً : وذلك هو مُنزلق حب الرياسة ، أو هو منزلق الحكم والمنصب والمنزلة ، وهو شَرَك يملكه الأمراء ، والملوك ، يشيرون به إلى هذا أو ذاك ، ويلوحون به إلى كل من يحبون أن يسير على هواهم فى الفتيا ، أو أن يسير على هواهم فى القضاء ، أو أن يسير على هواهم فى الحكم .

ونظر سفيان إلى الشَّرك ، وعرف أنه شرك مهلك ، فحاول دائماً أن يتحاشاه ، وأن يحذّر منه أصدقاءه .

لقد كتب إلى أخ له :

« واحذر حبَّ المنزلة ، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة فى الدنيا » .

ويقول :

« ما رأيت الزهد فى شىء أقل منه فى الرياسة ، ترى الرجل يزهد فى المطعم ، والمشرب والمال والثياب ، فإذا نوزع فى الرياسة حامى عليها وعادى » .

أمـــا الاتصال بالأمراء والملوك ، فإن سفيان يقول فيه :

إذا لم يكن لله فى العبد حاجة نبذه إليهم . (يعنى السلطان) .

ووصل الأمر بسفيان أن يقول : « النظر إلى وجه الظالم خطيئة » .

وأن يقول : « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبَّ أن يُعْصى الله » .

وكان كثير من الناس يحثون سفيان على الاتصال بالأمراء والملوك ، فيجيبهم :

إنى لألقى الرجل أبغضه فيقول لى : كيف أصبحت ؟ فيلين له قلبى .

فكيف بمن آكل ثريدهم ، ووطئى بساطهم ؟ » .

وعن ابن المبارك : قيل لسفيان الثورى : لو دخلت عليهم ؟ قال :

إنى أخشى أن يسألنى الله عن مقامى ما قلت فيه ؟

قيل له : تقول وتتحفظ ؟

قال : تأمرونى أن أسبح فى البحر ولا تبتل ثيابى ؟

قال حيان :

وبلغنى أنه قال : ليس أخاف ضربهم ، ولكنى أخاف أن يميلوا على بدنياهم ، ثم لا أرى سيئاتهم سيئة » .

هذا ونذكر الآن شيئاً مما حدث بينه وبين بعض المتصلين بالأمراء والملوك :

لقد لقى شريكاً بعد ما ولى قضاء الكوفة فقال : يا عبدالله ؟

بعد الإسلام والفقه والخير ، تلى القضاء وصرت قاضياً ؟

فقال له شريك :

يا أبا عبد الله ! لا بد للناس من قاض ، فقال له سفيان :

يا أبا عبد الله ! لا بد للناس من شرطى » .

وعن وهب بن إسماعيل الأسدى قال :

كنا عند سفيان الثورى ، فجاءه رجل فسأله عن مسألة ، وعلى رأسه قلنسوة سوداء ، فنظر إليه فأعرض عنه ؛

ثم سأله الثانية : فنظر إليه فأعرض عنه ؛ فقال له :

يا أبا عبد الله ! يسألك الناس فتجيبهم ، وأسألك فتنظر إلىَّ ، ثم تعرض عنى ؟ فقال :

هذا الذى تسألنى أى شىء تريد به ؟ قال : السنة .

قال : فهذا الذى على رأسك أى شىء هو من السنة ؟

هذه سنة سنها رجل سوء ، يقال له : أبو مسلم ، لا تستن بسنته .

قال : فنزع الرجل قلنسوته ، فوضعها ثم لبث قليلا ثم قام فذهب » اهـ .

وعن المفضل بن مهلهل قال :

خرجت حاجاً مع سفيان ، فلما صرنا إلى مكة ، وافينا الأوزاعى بها ، فاجتمعنا أنا والأوزاعى ، وسفيان فى دار ، قال : وكان على الموسم عبد الصمد ابن على الهاشمى ، فدَقَّ داق الباب فقلنا : من هذا ؟

قال : الأمير .

فقام الثورى فدخل المخدع ، وقام الأوزاعى فتلقاه .

فقال له عبد الصمد بن على : من أنت أيها الشيخ ؟

قال : أبو عمر الأوزاعى .

قال : حياك الله بالسلام ، أما إن كتبك كانت تأتينا فكنا نقضى حوائجك ، ما فعل سفيان الثورى ؟

قال : قلت : دخل المخدع . فدخل الأوزاعى فى أثره ، فقال : إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك ، فخرج سفيان مغضباً ، فقال : سلام عليكم كيف أنتم ؟

فقال له عبد الصمد :

أتيتك أكتب هذه المناسك عنك .

فقال له سفيان : أولا أدلك على ما هو أنفع لك منها ؟

قال : وما هو ؟

قال : تدع ما أنت فيه .

فقال : وكيف أصنع بأمير المؤمنين أبى جعفر ؟

قال : إن أردت الله كفاك أبا جعفر .

فقال له الأوزاعى :

يا أبا عبد الله ! إن هؤلاء لا يرضون منك إلا بالإعظام لهم .

فقال له :

يا أبا عمرو ، إنا لسنا نقدر أن نضربهم ، وإنما نؤذيهم بمثل هذا الذى ترى .

قال مفضل :

فالتفت إلى الأوزاعى فقال : قم بنا من ههنا ، فإنى لا آمن هذا[١] يبعث من يضع فى رقابنا حبالا ، وإن هذا[٢] ما يبالى » .

---

(١) يقصد الأمير .

(٢) يقصد سفيان .

سفيان وأبو جعفر

ولقد عاصر الثورى ، وهو فى قمة نضجه ، أبا جعفر المنصور ، الذى تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ - ٧٥٣ م ، وعاصر المهدى الذى تولى الخلافة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م وكان سفيان لا يتودد إليهما ولا يحب لقاءهما ؛ فإذا ما أصبح أمامهما وجهاً لوجه بأى سبب من الأسباب ما كان يدع النصيحة ، ولا يتخلى عن كلمة الحق .

كان أبو جعفر كثيراً ما يطلب الثورى لمقابلته ، ويأبى الثورى ملتمساً الأسباب ، ويسأله الناس فى ذلك فيقول .

ما يريد منى أبو جعفر ؟

فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له : قم من مقامك فغيرك أولى به منك » .

ويلتقى سفيان بأبى جعفر بمنى ، فيقول سفيان له :

اتق الله فإنما أُنزلتَ هذه المنزلةَ ، وصرتَ فى هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً .

حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان ينزل تحت الشجر .

يقول سفيان : فقال لى : أتريد أن أكون مثلك ؟

قلت : لا تكن مثلى ، ولكن كن دون ما أنت فيه ، وفوق ما أنا فيه .

فقال لى : اخرج » اهـ .

ويحكى عبد الرازق ما يلى :

أخذ أبو جعفر بتلباب الثورى ، وحول وجهه إلى الكعبة ، فقال :
برب هذه البنية [١] أى رجل رأيتني ؟ قال :
« برب هذه البنية ، بئس الرجل رأيتك ، وأطلق يده » اهـ .
ويقول النضر بن زرارة :
طلب أبو جعفر ، الثوريَّ حتى قدم عليه فأدخل عليه .
قال : فأقبل على سفيان بالملامة ، فقال :
تبغضنا وتبغض دعوتنا ، وتبغض عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : والثورى يقول : سلام ، سلام ، قال :
ثم رفع الثورى رأسه . فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ »[٢] .
قال : فنكس أبو جعفر رأسه ، وجعل ينكت بقضيب في يده الأرض .
فقال سفيان : الوضوء ، الوضوء ، ثم قام فخرج عنه » اهـ .
ويضيق أبو جعفر ، بالثورى ضيقاً يملك عليه أقطار نفسه ، فيختل توازنه بالنسبة لإمامنا ويأمر بأمر هو فى غاية الحمق والرعونة .
إنه يأمر بأمر لو تمَّ لوصم جبين الدولة العباسية كلها بوصمة الخزى إلى الأبد .

---

(١) أى الكعبة .
(٢) الفجر من آية : ٦ – ١٤ .

عن عبد الرزاق يقول :
بعث أبوجعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال :
إن رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه ، قال :
فجاء النجارون فنصبوا الخشب ونودى سفيان ، وإذا رأسه فى حجر فضيل بن عياض ، ورجلاه فى حجر ابن عيينة ، فقالوا له :
يا أبا عبد الله ! اتق الله ، ولا تشمت بنا الأعداء ، قال :
فتقدم إلى الأستار ثم دخلها ، ثم أخذ بها ، وقال : برئت منها ، إن دخلها أبو جعفر ، قال : فمات قبل أن يدخل مكة ، فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً » .

سفيان والمهدى

أما صلته بالمهدى فإنها بدأت بأن حاول المهدى أن يضم إلى صفه هذه القوة الهائلة التي لسفيان فى المجتمع ، وأن يستميل سفيان إليه ، ولكن سفيان لم يستجب ؛ ولقد كان من التجربة بحيث ما كان يمكن أن يتلاعب به حاكم ، والقصص التالية – مرتبة ومنظمة بحيث تفسر إحداها ما لا تفسره الأخرى ، وبحيث يشرح بعضها بعضاً – تفسر موقف الثورى من المهدى .

حدث عطاء بن مسلم قال : لما استخلف المهدى بعث إلى سفيان ، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه فقال :
يا أبا عبد الله ، هذا خاتمى فاعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال : تأذن فى الكلام يا أمير المؤمنين ؟

قال عبيد : قلت لعطاء : يا أبا مخلد ، قال له يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم .

قال : أتكلم على أنى آمن ؟

قال : نعم .

قال : لا تبعث إلىّ حتى آتيك ، ولا تعطنى شيئاً حتى أسألك .

قال : فغضب من ذلك وهم به . فقال له كاتبه :

أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين ؟

قال : بلى .

فلما خرج حف به أصحاب ، فقالوا : ما منعك يا أبا عبد الله ، وقد أمرك أن تعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ؟

قال : فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هارباً إلى البصرة .

وبتأمل يسير فى القصة ، نعرف أن سفيان كان على صواب : فقد غضب المهدى من مجرد هذه البراءة البريئة التى بدت من سفيان ، ولم يحاول أن يتفاهم معه ، وكان موقفه موقف الآمر الذى يأمر فيجاب ولا يعارض .

« وهم به » أى أراد أن ينكل به ، وهل يرجى من مثل هذا الموقف الجبروتى الاستجابة إلى ما يحب سفيان من سيادة كتاب الله وسنة رسوله ؟

وروى عصام بن يزيد — عن أبيه قال : قال لى سفيان : احمل كتابى هذا إلى المهدى ؟ قال : فقلت : يا أبا عبد الله ! إن رأيت أن تعفينى — وجعلت أمتنع — فقال لى :

خذ كتابى هذا واحمله ، فإن حولى جماعة لو قلت لهم لبادروا حمله

إلى أبي عبيد الله .

قال : فحملت الكتاب ، وصرت إلى أبي عبيد الله ، فقلت : رسول سفيان .

قال : فأمر بي فأنزلت وسأل عني في سر ، وقال لي :

بكر بالغداة بالدخول على أمير المؤمنين ، قال : فاستعفيت فقال :

لا بد ، ثم بكرت فدخلت عليه ، فإذا مجلس بيت قد لُبِّد ، فناولته الكتاب .

قال : فجعل ينظر فيه ، فإذا في الكتاب .

إني أظهر على أن لي الأمان ، ولكل من طولب بسببي ، وعلى أن أحُلَّ من بلاد الله حيث أشاء ، فإني أرجو أن يخير الله لي قبل ذلك .

قال : فأعطاني مالاً أحمله إليه ، فأبيت ، ولم أقبله ، وقال :

له الأمان ، ولمن طولب بسببه ، ويحل من بلاد الله حيث شاء ،

ولكن يوافيني بالموسم ، وما على أبي عبد الله أن يضع يده في يدي ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

قال : فرجعت إلى سفيان فقلت : قد جاء الله بما تحب ؛ قال أمير المؤمنين : كيت ، وكيت .

فقال : اسكت ، قل له يستعمل ما يعلم حتى إذا استعمل ما علم ، أتيناه ، فعلمناه ما لا يعلم .

قال : فخار الله له ، فتوفي قبل ذلك .

وحدث أبو جميل أحمد بن عبد الله بن عياض المكي ، قال سمعت عبد الرزاق يقول : قدمنا مكة ، وقدمها الذي يقال له المهدي فحضرت

الثورى ، وقد خرج من عنده وهو مغضب ، فقال :

أُدخلت آنفاً على ابن أبى جعفر ، فقال لى : يا أبا عبد الله ! طلبناك فأعجزتنا ، فأمكننا الله منك ، فى أحب المواضع إليه ، فارفع إلينا حوائجك ، قال : فقلت :

وأى حاجة تكون لى إليك ؟ وأولاد المهاجرين ، وأولاد الأنصار يموتون خلف بابك جوعاً ؟

فقال لى أبو عبيد الله :

يا أبا عبد الله ! لا تكثر الفضول ، واطلب حوائجك من أمير المؤمنين ، فقلت :

مالى إليه من حاجة ، لقد أخبرنى إسماعيل بن أبى خالد ، أن عمر ابن الخطاب حج ، فقال لصاحب نفقته : كم أنفقنا فى حجنا هذا ؟

قال : اثنا عشر ديناراً. قال :

أكثرنا ، أكثرنا . أو قال : أسرفنا ، أسرفنا ، وعلى أبوابكم أمور لا تقوم لها الجبال الراسيات .

قال : فقال لى ابن أبى جعفر :

يا أبا عبد الله ! أفرأيت إن لم أقدر أن أوصل إلى كل ذى حق حقه فما أصنع ؟

قال : تفر بدينك ، وتلزم بيتك ، وتترك الأمر لمن يقدر أن يوصل إلى كل ذى حق حقه .

قال : فسكت ، وقال لى أبو عبيد الله :

أراك تكثر الفضول إن كانت لك حاجة فاطلبها ، وإلا فانصرف ؟

قال : فانصرفت .

وعن يحيى بن يمان يقول ، سمعت أبي يقول ، سمعت سفيان الثورى يقول : قال لى المهدى :

أبا عبد الله ! أصحبنى حتى أسير فيكم سيرة العُمَرين(١). قال قلت :

أما وهؤلاء جلساؤك فلا . قال : فإنك تكتب إلينا فى حوائجك فتقضيها ، قال سفيان : والله ما كتبت إليك كتاباً قط .

قال : وقال لى سفيان :

إن اقتصرت على خبزك وبقلك لم يستعبدك هؤلاء » .

وحدث داود بن يمان عن أبيه ، قال : قال سفيان الثورى :

كم أنفقت فى حجتك ؟ قال : ما أدرى ، قال :

لكن عمر بن الخطاب يدرى ، أنفق ستة عشر ديناراً فاستكثرها » .

وعن ابن مهدى يقول : سمعت سفيان الثورى يقول :

طلبت فى أيام المهدى فهربت فأتيت اليمن ، فكنت أنزل فى حى وآوى إلى مسجدهم ، فسرق ذلك الحى فاتهمونى ، فأتوابى إلى معن بن زائدة — وكان قد كتب إليه فى طلبي — فقيل له :

إن هذا قد سرق متاعنا ، فقال :

لم سرقت متاعهم ؟ فقلت : ما سرقت شيئاً .

فقال لهم : تنحوا لأسائله ، ثم أقبل عليّ فقال : ما اسمك ؟ قلت : عبد الله بن عبد الرحمن ، قال : يا عبد الله بن عبد الرحمن !

---

(١) يريد عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ..

ناشدتك بالله ، لما صدقتنى : ما اسمك ؟

فقلت : سعيد ؛ فقال : سعيداً بن من ؟

فقلت : ابن سفيان .

فقال : الثورى ؟

قلت : نعم .

فقال : طَلِبةُ أمير المؤمنين ؟

قلت : نعم .

فأطرق قليلاً ثم قال :

لو كنت درهماً فى قبضة يدى لما سلمتك إليهم ، فاذهب حيث شئت ، ولكن لا تعرض نفسك للشهرة حتى لا تقع فى أيديهم .

ونجى الله سفيان ، وصدق فيه قوله سبحانه وتعالى :

« ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

التوحيد

لقد حاول سفيان الثورى وعمل طيلة حياته على أن تستقيم الأمة الإسلامية على الطريق الحق ، طريق القرآن والسنة ، والصراط المستقيم . وكما كان يقوم ، من أجل ذلك ، بتفسير القرآن ، ورواية الحديث وشرحه ، فإنه كان يتحدث فى التوحيد .

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٣ . .

* **السلف والمتشابه :**

ولقد كان سفيان كأمثاله من الإمام مالك وغيره ، من أئمة الهدى سلفياً ، والسلف رضوان الله عليهم لا يتعرضون للمتشابه ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ ، وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ . والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ » [١] .

وإذا فسرنا المتشابه بهذا التفسير أو ذاك . فإنه مما لا شك فيه أن ما يعلو على مستوى الفكر الإنسانى وهو ذات الله : من المتشابه ، ولقد نهينا عن البحث فيها :

« تفكّروا فى آلاء الله ولا تفكّروا فى ذاته فتهلكوا » .

ونهينا عن البحث أيضاً فى القدر ، فالقدر من المتشابه أيضاً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا ذكر القدر فأمسكوا » [٢] .

والبحث إذن فى الذات وفى القدر لا يجرى وراءه إلا من فى قلوبهم زيغ .

وإذا ألغينا البحث فى الذات وفى القدر ، زالت الفرق التى نشأت

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) الحديث : رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن .

بسبب البحث فيهما ، وهى فرق المعتزلة وغيرها من الفرق التى تكونت حول البحث فى الذات ، والبحث فى القدر .

وإذا انتهينا من جانب آخر عن أن نجعل للأشخاص شأناً فى العقيدة – وهم ليس لهم شأن فيها – انتهت الفرق التى تكونت حول الأشخاص ، كالشيعة والخوارج .

إن الأشخاص من حيث إنهم أشخاص لا شأن لهم بالعقيدة ، إنهم لا يكونون جزءاً منها :

اللهم إلا الأنبياء باعتبارهم أنبياء ورسلا .

فإذا انتزعنا من البحث والجدل : المتشابه ، وانتزعنا الأشخاص استقام الأمر – فى جانب من جوانبه – بين المسلمين : وهذا هو المذهب السلفى .

ومذهب السلف الذى كتب فيه الإمام الرازى كتابه : « أساس التقديس » وكتب فيه الإمام الغزالى كتابه : « إلجام العوام » والذى كتب فيه فأجاد وأفاد ، الإمام السيوطى كتابه النفيس : « صون المنطق والكلام ، عن فنى المنطق والكلام » . هو مذهب أهل السنة حقًّا ؛ وهو مذهب الفرقة الناجية ، وهو مذهب كل محب حقًّا للتوفيق بين المذاهب المختلفة .

* فكرة التقريب بين المذاهب :

وفكرة التقريب بين المذاهب لا تقوم لها قائمة ، إلا إذا ألغينا الجدل فى المتشابه ، والجدل فى الأشخاص أى أخرجنا من الدين ما ليس منه .

فمما لا شك فيه ، أن الأشخاص — فيما عدا الأنبياء — ليسوا من الدين فى شيء ، والبحث فى المتشابه ليس من الدين فى شيء .

ولقد فرق البحث فيهما الأمة الإسلامية ، دون أن يكون لذلك نتيجة سوى العداوة والبغضاء .

وأسباب الفرقة فى الأمة الإسلامية من حيث العقيدة ، ترجع فى كثير منها إلى هذين السببين :

المتشابه ، والأشخاص .

فإذا أراد الشخص التقريب فعليه بإزالة الأسباب .

ولقد حاول الإمام الأشعرى التقريب بين المذاهب ، ولن يتأتى أن نجد مذهباً يفوق المذهب الأشعرى فيما وفق إليه من تقريب هو فى غاية الدقة ، وفى غاية النفاسة .

لقد كان الإمام الأشعرى غاية فى الذكاء ، بارعاً فى منطقه ، عالماً عَلَماً .

ولقد درس مختلف المذاهب فى دقة دقيقة ظهرت ظهوراً واضحاً جليًّا فى كتابه : « مقالات الإسلاميين » ، ومع ما تحلى به من علم ، ومن إخلاص فى نزعة التقريب ، ومن لباقة وحكمة فى عرض المذهب ، فإن مذهبه لم يوحد بين الأمة الإسلامية .

وإنا ننصح ، مخلصين ، كل حريص على وحدة الأمة ، أن يتجه فى صراحة إلى أسباب التفرق ، فيعمل على إزالتها ؛

وإن المذهب السلفى وحده هو المذهب الذى صلح عليه أمر الأمة فى أوائلها وعليه يصلح إن شاء الله أمر الأمة الآن .

ولقد كان الإمام الثورى سلفياً بمعنى الكلمة ، وسنشرح هنا بعض الزوايا ، بعضها فقط ، من آرائه .

وجود الله :

لقد سئل : بم عرفت ربك ؟ فقال :

بفسخ العزم، ونقض الهمة .

يريد الإمام الثورى أن يقول : إن الإنسان لا يقوم وحده دون مهيمن ومسيطر ، بل متحكم . ولو قام وحده لسار فى طريقه دون فسخ للعزم ، أو نقض للهمة . ولكنه يشاهد طيلة حياته ، أنه يعزم أحياناً فيتفسخ عزمه ، ويهم أحياناً فتنتقض همته ، لا لسبب منه ، وإنما لسبب من مدبر قهار ، لا يعلو على سلطانه سلطان ، ولا يسمو على تدبيره تدبير ، هو الله سبحانه وتعالى [١] .

* **الإيمان :**

أما عن الإيمان فإن سفيان كان يرى كما يرى السلف أنه قول وتصديق ، وعمل .

قال أبو بكر الحنفى : سمعت سفيان الثورى يقول :

الصلاة والزكاة من الإيمان ، والإيمان يزيد ، والناس عندنا مؤمنون مسلمون ، ولكن الإيمان متفاضل ، وجبريل أفضل إيماناً منك » .

وعن أبى همام السكونى ، قال : حدثنى أبى قال : سمعت سفيان يقول :

---

(١) يقول ابن عطاء الله السكندرى : « سوابق الهمم لا تخرق أسوار الإنذار » . .

لا يستقيم قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة » ا هـ .

ويصل الأمر بسفيان في هذا الصدد أن يسأله إبراهيم بن المغيرة قائلا :

أأصلى خلف من يقول : الإيمان قول بلا عمل ؟

فيجيبه سفيان : لا ، ولا كرامة .

وكان سفيان يقول :

عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت ، والصبيان فى الكتاب ، من الإقرار والعمل .

* **سفيان والقدر :**

وكان سفيان كالسلف يؤمن بالقدر ، خيره وشره ، لقد قال يوماً :

أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فيقول :

لا يعطى أحد إلا ما أعطيت ، ولا يقى أحد إلا ما وقيت » ا هـ .

لقد كان هذا قوله ، وكان هذا حاله ؛ يقول عطاء الخفاف :

ما لقيت سفيان الثورى إلا باكياً ، فقلت : ما شأنك ؟ قال :

« أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقياً » ا هـ .

ويروى محمد بن كثير عن سفيان :

ما أحب الله عبداً فأبغضه ، وما أبغضه فأحبه ، وإن الرجل ليعبد الأوثان وهو عند الله سعيد » ا هـ .

وقال سفيان :

« إذا أراد الله بعبد خيراً ، أفرغ عليه السداد ، وكنفه بالعصمة » ا ﻫ .

أما موقف سفيان من المكذبين بالقدر ؛ فإن أحمد بن عبد الله ابن يونس ، قال سمعت رجلا يقول لسفيان : رجل يكذب بالقدر ، أأصلى وراءه ؟ قال :

لا تقدموه ، قال : هو إمام القرية ليس لهم إمام غيره ، قال :

« لا تقدموه ، لا تقدموه ، وجعل يصيح » .

ومن طريف ما يروى فى ذلك عن سفيان ما رواه محمود الدمشقي ، قال :

جاء رجل إلى سفيان الثورى فشكا إليه مصيبة أصابته ، فقال له سفيان :

ما كان بها أحد أهون عليك منى ؟ قال : وكيف ذلك ؟ قال :

ما وجدت أحداً تشكو إليه غيرى ؟

قال : إنما أردت أن تدعو لى ، فقال له سفيان :

أمُدَبِّرٌ أنت ، أم مُدبَّر ؟ قال :

بل مدبَّر ، قال :

« فارض بما يدبَّر لك » ا ﻫ .

* * *

ولقد شاع فى عهد سفيان مذهب المرجئة ، وهو مذهب مثبط ، ومن أجل ذلك حمل عليه سفيان حملات عنيفة .

ولقد ثار فى عهد سفيان الجدل ، والحديث عن على ، وعثمان ، رضى الله عنهما ، فكان لسفيان مواقف مؤمنة ، ومواقف طريفة ، فى ذلك .

وشاع فى عهد سفيان بدع كثيرة ، فأخذ سفيان فى الحديث عن السنة والبدعة ، ونحن هنا نسرد ما روى عن سفيان فى كل ذلك .

عن السنة والبدعة

عن يوسف بن أسباط قال : قال سفيان :

يا يوسف ، إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ؛

وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة ، فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة » اهـ .

ويحدث ابن يمان فيقول : سمعت سفيان يقول :

« البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها » .

وعن يحيي بن عمر قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة ، خرج من عصمة الله ، ووكل إلى نفسه » اهـ .

وحدث يحيي بن يمان قال : سمعت سفيان يقول :

« من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة ، فقد خرج من عصمة الله تعالى » .

عن المرجئة

حدث الغريابى قال : سمعت سفيان يقول :

« ليس أحد أبعد من كتاب الله من المرجئة » .

وعن المؤمل بن إسماعيل يقول : قال سفيان الثورى :

خالفتنا المرجئة فى ثلاث :

نحن نقول : الإيمان قول وعمل ، وهم يقولون : الإيمان قول بلا عمل .

ونحن نقول : يزيد وينقص ، وهم يقولون : لا يزيد ولا ينقص .

ونحن نقول : نحن مؤمنون بالإقرار ، وهم يقولون : نحن مؤمنون عند الله » أ هـ .

وحدث أحمد بن عبد الله ، قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« الناس عندنا مؤمنون مسلمون ، ولكن لا ندرى ما هو عند الله تعالى » .

وعن يوسف بن أسباط يقول : سمعت سفيان يقول :

« من كره أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، فهو عندنا مرجئ – يمد بها صوته – » .

وحدثنا غياث بن واقد قال : سمعت سفيان يقول :

« أرج كل شيء مما لا تعلم إلى الله ، ولا تكن مرجئاً .

واعلم أن ما أصابك من الله ، ولا تكن قدرياً .

قال : وسمعت سفيان يقول :

لقد تركت المرجئة هذا الدين أرق من السابرى » :

وأخبر الغريابى قال : قال سفيان الثورى :

« نسمع التشديد فنخشى ، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة ، ولا نقضى على الموتى ، ولا نحاسب الأحياء ، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه ، ونتهم رأينا لرأيهم » .

عن خلق القرآن

أخبر عبد الله بن المبارك قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« من زعم أن « قل هو الله أحد » مخلوق ، فقد كفر بالله عز وجل » .

عن النزاع بين الصحابة

يقول على بن قادم : سمعت سفيان يقول :

« ما قاتل على أحداً ، إلا كان على أولى بالحق منه » .

وعن عطاء بن مسلم قال : قال لى سفيان :

« إذا كنت فى الشام فاذكر مناقب على ، وإذا كنت بالكوفة ، فاذكر مناقب أبى بكر وعمر » [1] .

---

(١) لأنهم فى الشام فى عهد الأمويين كانوا يحاولون دائماً الحط من قدر سيدنا على ، وكانوا فى الكوفة — وقد كانت شيعية المذهب — يحاولون الحط من قدر سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر رضى الله عن الجميع .

وعن عمرو بن حسان قال :

كان سفيان الثورى نعم المداوى ، إذا دخل البصرة حدث بفضائل ، وإذا دخل الكوفة ، حدث بفضائل عثمان » .

وعن داود بن الجراح قال : قال سفيان لعطاء بن مسلم :

كيف حبك اليوم لأبى بكر ؟

قال : شديد .

قال : كيف حبك لعمر ؟

قال : شديد .

قال : كيف حبك لعلى ؟

قال : شديد ، وطولها وشددها .

فقال سفيان :

« يا عطاء ، هذه الشديدة تريد كيَّة وسط رأسك » .

وعن حمزة الثقفى قال : قال رجل لسفيان :

« ما أزعم أن عليًّا أفضل من أبى بكر ، وعمر ، ولكن أجد لعلى لا أجد لهما ؟ فقال سفيان :

« أنت رجل منقوص » .

وعن عبد الوهاب الحلبى يقول : سألت سفيان الثورى ونحن نطوف لبيت عن الرجل ، يحب أبا بكر وعمر ، إلا أنه يجد لعلى من الحب ا لا يجد لهما ؟ قال :

« هذا رجل به داء ، ينبغى أن يسقى دواء » .

وعن قبيصة بن عقبة ، قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« من قدم علياً على أبي بكر وعمر ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وأخشى ألا ينفعه مع ذلك عمل » اهـ .

وعن أبي بكر الحنفي يقول : سمعت سفيان يقول :

من قدم علياً على أبي بكر وعمر ، فقد أزرى عليهما وعلى عليّ ، وعلى غيرهم من الناس » اهـ .

وعن سفيان بسنده قال :

جاء رجل إلى سعيد بن زيد ، فقال :

أبغضت عثمان بغضاً لم أبغضه أحداً قط ، قال : بئس ما صنعت ، أبغضت رجلا من أهل الجنة ؟

ثم ذكر حديثاً ، فقال :

« إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء ، فذكر هؤلاء العشرة ، فقال : « اثبت » حراء ، فإنما عليك نبي ، وصديق ، وشهيد » .

ومن كلام سفيان الدال على صفاء سريرته ، وإخلاص قلبه ، بالنسبة للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قوله :

« لا يستقيم حب علي وعثمان ، إلا في قلب نبلاء الرجال »

ولقد حدث عباد السماك قال : سمعت سفيان الثوري يقول :

أئمة العدل خمسة :

« أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز ، رضي الله تعالى عنهم ، من قال غير هذا فقد اعتدى » .

آراء فى العقيدة والفقه

ولا يفوتنا هنا أن ننقل نصًّا معبراً رواه الذهبى فى التذكرة بإسناده عن شعيب بن حرب :

قال شعيب : قلت لسفيان الثورى :

حدثنى بحديث فى السنة ينفعنى الله به ، فإذا وقفت بين يديه وسألنى عنه قلت : يا رب حدثنى بهذا سفيان ، فأنجو أنا وتؤخذ » .

فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، من قال غير هذا فهو كافر .

والإيمان قول وعمل ونية ، يزيد وينقص .

وتقدمة الشيخين (١) (إلى أن قال) :

يا شعيب ، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين .

وحتى ترى أن إخفاء « بسم الله الرحمن الرحيم ، أفضل من الجهر به .

وحتى نؤمن بالقدر .

وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر .

والجهاد ماض إلى يوم القيامة .

والصبر تحت لواء السلطان جور ، أو عدل .

فقلت : يا أبا عبدالله ، الصلاة كلها ؟

---

(١) تقدمة أبى بكر وعمر فى الفضل على من سواهما .

قال : لا ، ولكن صلاة الجمعة والعيدين ، صل خلف من أدركت وأما سائر ذلك فأنت مخير ، لا تصل إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة .

إذا وقفت بين يدى الله ، فسألك عن هذا فقل : يا رب حدثنى بهذا سفيان الثورى ، ثم خل بيني وبين الله عز وجل » ا هـ .

فيظهر من هذا الكتاب أن الثورى كان يعتقد كسائر أئمة أهل السنة ، وكان يقدم الشيخين – أما عثمان وعلى رضي الله عنهما ، فلعله كان يسكت عن تقديم أحدهما على الآخـر ، ويحب كليهما ، لأنه كان يقول :

« لا يستقيم حب على وعثمان رضى الله عنهما ، إلا فى قلب نبلاء الرجال ، وإن الخلفاء الراشدين خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم – ومن اعتقد خلاف هذا ، فهو متجاوز عن الحد » [١] .

وعده الشهرستانى فى الصفاتية الذين لم يتعرضوا للتأويل فى الصفات ولا تهدفوا للتشبيه [٢] – وكان يبغض المرجئة الذين يقولون : إن الإيمـان تصديق فقط . ولذا لا يزيد ولا ينقص – حتى إنه سئل مرة أن يصلى على مرجئ قد مات فأبى [٣] .

---

(١) الشعرانى ٥٣١ ، والكواكب ٢٠٧،١ باختلاف يسير – .
(٢) الملل والنحل ص ٦٥ .
(٣) دائرة المعارف .

الفصل الثانى

المحدث الفقيه

لقد أهلته المقادير لأن يكون محدثاً من كبار المحدثين ، وفقيهاً من كبار الفقها، فاجتمع فيه ما اجتمع فى الإمام مالك ، رضي الله عنه : الحديث ، والفقه .

وصاحب الحديث لا بد له من ذاكرة قوية ، قوة خارقة ، ذاكرة كأنها آلة تسجيل ؛ وإلا لم يكن مؤهلا لهذا الميدان .

ولقد منح الله سبحانه وتعالى ، سفيان ذاكرة حافظة ، يصفها سفيان بقوله :

« ما استودعت قلبي شيئاً قط فخاننى » .

ويقول ابن مهدى عنه :

« ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سفيان » .

ويصف الأشجعى ذاكرة سفيان فيقول :

دخلت مع الثورى على هشام بن عروة ، فجعل يسأل وهشام يحدثه ، فلما فرغ قال :

أعيدها عليك ؛ فأعادها عليه ، وقام ، ثم دخل أصحاب الحديث فطلبوا الإملاء ، فقال هشام :

احفظوا كما حفظ صاحبكم .

قالوا : « لا نقدر » اهـ .

أما يحيى بن سعيد القطان فإنه يقول :

« ما رأيت أحفظ من الثورى » .

لقد كانت ذاكرة سفيان مهيأة بالفطرة ، لأن تجعل من سفيان إماماً من أئمة الحديث .

ومع الذاكرة لا بد للمحدث من ذكاء يتوقد .

ولقد كان الثورى كما يقول ابن الجوزى : « يتوقد ذكاء » حتى لقد أصبح نابهاً وهو فى بواكير شبابه ، ويصف أبو المثنى شيئاً من نباهته ورفعة شأنه فى بواكير حياته فيقول :

« سمعتهم بمرو ، يقولون : قد جاء الثورى ، قد جاء الثورى ؛ فخرجت أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه » . وبقل وجهه يعنى : نبت الشعر فى لحيته ، أى أنه كان فى بواكير شبابه .

وفى ذلك يقول ابن الجوزى :

صار إماماً منظوراً إليه وهو شاب .

ويحكى عن الوليد بن مسلم قال :

« رأيت الثورى بمكة يُستَفتى ، ولما يخط وجهه بعد » .

وأبصر أبو إسحاق البيعى ، سفيان مقبلا فتلا قوله تعالى :

« وآتيناه الحكم صبيًّا » .

يشير بذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى قد منح سفيان من الحكمة وهو ما يزال فى بواكير الشباب .

ولقد كان تقدير العلماء له فى الحديث والفقه تقديراً يتناسب حقًّا

مع مكانته التى بلغها ، وإذا كنا نذكر هنا شيئاً من ذلك فإننا نذكر بعضاً من كل ، وقطرة من غيث .

قال شعبة وابن معين وجماعة :

« سفيان أمير المؤمنين فى الحديث » .

ويقول يحيى بن يمان :

ما رأيت مثل سفيان ، ولا رأى سفيان مثله ، كان سفيان فى الحديث أمير المؤمنين .

ومما يفسر هذه الإمارة أن يحيى بن يمان قال :

كتبت عن سفيان عشرين ألفاً ، وأخبرنى الأشجعى أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفاً ،

وسمعت سفيان يقول : « ما أُحَدِّث من كل عشرة بواحد » .

أى أن سفيان كان يحدث بأقل من عُشْر ما يحفظ .

ويتحدث ابن المبارك – فيما يروى عبدالرزاق – عن استفاضة سفيان فى العلم ، وعن سعة دائرته ، فى فنونه ، ولا سيما الحديث فيقول :

أقعد إلى سفيان فيحدث فأقول ما بقى من علمه شيء إلا وقد سمعته .

ثم أقعد مجلساً آخر فأقول : ما سمعت من علمه شيئاً .

ومن أجل هذه الاستفاضة التى شاهدها ابن المبارك كان يقول :

لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان

ويقول ابن المبارك أيضاً :

« كتبت عن ألف ومائة شيخ ، وما فيهم أفضل من سفيان » .

ولا يكاد ابن المبارك يملّ الحديث عن سفيان ، إنه يقول أيضاً :

« ما رأيت مثل سفيان ، كأنه خلق لهذا الشأن » .

وقال أيضاً :

« كنت إذا أعيانى الشيء أتيت سفيان أسأله ، فكأنما أغترف من بحر » .

وكان سفيان يفتن كل من يتصل به عن مشاهدة ، أو عن دراسة لتاريخه وسيرته .

كان يبهره بعلمه ، وكان يبهره بحفظه للحديث ، وكان يبهره بصلاحه وتقواه ؛ وكان يبهره بأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، وكان يبهره بعفة نفسه عن كل ما فيه شبهة :

يتحدث عنه وكيع فيقول :

« كان بحراً » .

ويتحدث عنه الإمام أحمد فيقول :

« لم يتقدمه فى قلبى أحد » .

ويُعجبُ الإمام أحمد بن حنبل من سفيان ، أنه كان إذا قيل له : إنه رؤى فى المنام ، قال :

« أنا أعرف بنفسى من أصحاب المنامات » .

ويقول أبو أسامة ، فيما يروى ابن الجوزى :

« من أخبرك أنه رأى بعينيه مثل سفيان فلا تصدقه » .

وإذا كانت المقادير قد هيأت سفيان للعلم على وجه العموم ، فإنها هيأته على الخصوص ليكون محدثاً ، وذلك بسبب هذه الذاكرة التى كانت من القوة بحيث لا يند عنها شيء .

يحدث يحيى بن يمان فيقول : سمعت سفيان الثورى يقول : ما استودعت أذنى شيئاً قط إلا حفظته ، حتى إنى أمر بكذا – كلمة قالها – فأسد أذنى مخافة أن أحفظ ما يقول .

وثق الناس بسفيان فى الحديث لصفات تحلى بها .

لقد وثقوا به فى الحديث لأنه لم يكن يريد به إلا وجه الله والدار الآخرة :

لقد حدث محمد بن يوسف الغريابى قال : سمعت الثورى يقول : « ما من عمل أفضل من طلب الحديث ، إذا صحت النية فيه » .

قال أحمد : قلت للغريابى : وأى شىء النية ؟

قال : تريد به وجه الله والدار الآخرة .

ولقد كان سفيان معنياً عناية فائقة بمسألة النية الخالصة ، إنه يقول :

« لو أنى أعلم أن أحداً يطلب الحديث بنية لأتيته فى منزله حتى أحدثه » .

وكان بسفيان هيام بالحديث ، لقد كان محباً ، لقد كان عاشقاً ، يصف شيئاً من ذلك عبد الرحمن بن مهدى فيقول :

كنا نكون عند سفيان الثورى فكأنه قد أوقف للحساب فلا نجترئ أن نكلمه ، فنعرِّض بذكر الحديث ، فيذهب ذلك الخشوع ، فإنما هو : حدثنا وحدثنا .

ويقول سفيان :

ينبغى للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسئول عنه

وينصح الناس قائلا :

« أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح » .

ويتجه إلى الشباب الذى كان دائماً ينتظره بالقرب من بيته فيقول لهم :

« يا معشر الشباب تعجلوا بركة هذا العلم ، فإنكم لا تدرون ، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه ، ليفد بعضكم بعضاً .

ويتبين الإنسان مدى حب سفيان للحديث مما حدث به يحيى ابن يمان قال :

سمعت سفيان يقول :

« لو لم يأتنى أصحاب الحديث لأتيتهم فى بيوتهم » .

وكما كان سفيان معنيًّا بإذاعة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان معنيًّا بالمحدثين أنفسهم .

فقد كان دائماً ينصح طلاب الحديث بأن يبدءوا بتعلم الأدب ، وأن يتعبدوا حتى إذا استقام بهم الطريق فى الأدب والعبادة أملى عليهم الحديث .

يحدث أبو عاصم – كما يروى صاحب الحلية – أنه سمع سفيان الثورى يقول :

كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك .

ويتحدث الثورى عن صاحب الحديث من ناحية المعيشة فيقول :

يعجبنى أن يكون صاحب الحديث مكفيًّا ، فإن الآفات إليهم أسرع ، وألسنة الناس إليهم أسرع .

ويتحدث عن أصحاب الحديث من حيث الأمانة فى النقل :

روى عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال سفيان الثورى .

« من كذب سقط حديثه » .

قال : وسمعته يقول : قال وكيع :

« هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق » .

ولما تحلى به سفيان من صفات تتناسب مع حامل الحديث ، قدره لناس فى صورة كريمة حقًّا ، ويعبر عن ذلك ما قاله عبد الله بن داود لخريبى :

« ما رأيت محدثاً أفضل من سفيان الثورى » .

ويقول أبو بكر بن عياش :

« إنى لأرى الرجل يحدث عن سفيان ، فينبل فى عينى » .

ومن أطرف ما يروى فى ذلك : أن يحيى بن سعيد يقول :

« ما كتبت عن سفيان عن الأعمش ، أحب إلىَّ مما سمعت من الأعمش » .

ولقد وازن كثير من الناس بين سفيان وغيره ، ونقتصر هنا من هذه الموازنات على ما حدث به إسحاق بن راهويه قال :

سمعت عبد الرحمن بن مهدى ذكر سفيان ، وشعبة ، ومالكاً ، وابن المبارك ، فقال :

« أعلمهم بالعلم سفيان » .

قال إسحاق ، وقال يحيى بن سعيد :

« كان سفيان أبصر بالرجال من شعبة »

ومن طريف الآراء فى الثقة بسفيان محدثاً ما يقوله يحيى بن سعيد :

« ليس أحد أحب إلىّ من شعبة ، ولا يعدله ، أحد عندى ، وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان » ا هـ

وفى يوم من الأيام ذكر شعبة حديثاً عن إسحاق ، فقال رجل :

« إن سفيان خالفك فيه » .

فقال شعبة :

« دعوه ، سفيان أحفظ منى » .

وشعبة يقول فى صراحة الرجل الصادق :

إذا خالفنى سفيان فى حديث ، فالحديث حديثه » .

يقول أبو نعيم :

« للإمام أبى عبد الله سفيان بن سعيد ، من مسانيد الحديث ما لا يضبط كثرة ، سبق إلى جمع بعض حديثه الماضون من أسلافنا وعلمائهم » .

هذا ما كان عن سفيان محدثاً .

سفيان الفقيه

أما سفيان الفقيه ، فإنه اتخذ الخطة المثلى للفقيه ، وهى أن يكون محدثاً قبل أن يكون فقيهاً ؛ والواقع أن هذا الفصل الذى نلاحظه الآن بين الفقيه والمحدث فصل مصطنع ، وهو فصل فيه انحراف ، فالحديث الشريف هو من الضرورة بحيث يعتبر أساساً لا بد منه للفقيه ، وكما أنه

لا بد للبيت من أساس ، فإنه لا بد للفقيه من الحديث .

لقد كان سفيان الثورى محدثاً قبل أن يكون فقيهاً ، ومن أجل ذلك فإنه كان فقيهاً موفقاً :

وذلك أنه يشيع فى فقهه دائماً عبير النبوة ممثلا فى الأحاديث التى تكون أركان فقهه .

وعن بسفيان الفقيه يقول زائدة :

« كان سفيان أفقه الناس » .

ويحدث الغريابى فيقول :

سمعت سفيان الثورى يقول : ما سألت أبا حنيفة عن شيء قط ، وربما لقينى فسألنى » .

ومن آراء الثورى عن صلة الفقه بالآثار قوله :

« تعلموا هذه الآثار فمن قال برأيه فقل : رأيى مثل رأيك »

ومن طريف آراء الثورى فى الفقيه ، ما رواه ابن المبارك قال :

سمعت سفيان الثورى يقول :

« ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة » .

ويقول عبد الرحمن بن مهدى عن الفقهاء :

« أئمة الناس فى زمانهم أربعة :

سفيان الثورى بالكوفة .

ومالك بالحجاز .

والأوزاعى بالشام .

وحماد بن زيد بالبصرة » .

ولقد علم سفيان الناس سعة الصدر فى الإفتاء فقد كان يقول :

« إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذى قد اختلف فيه ، وأنت ترى غيره فلا تنهه » .

وسفيان فى ذلك حكيم كل الحكمة ، فإن الذى يحجر واسعاً لا يتمشى مع سماحة الإسلام .

وفيما يلى ، مما نرويه عنه ، حديث وفقه ، أو حديث يعبر عن الفقه ، أو فقه مؤسس على الحديث ، ونبدأ بما رواه فى السيرة العطرة ، صلوات الله وسلامه على صاحبها .

فى السيرة

عن سفيان عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ، يوم حنين يقول :

« أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » [١] .

عن سفيان عن بديل عن عبد الله بن شقيق العقيلى ، عن ميسرة الفخر قال :

قلت : يا رسول الله ، متى كتبت نبيًّا ؟ قال :

فقال الناس مه .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) صحيح متفق عليه . ونذكر هنا أن هذه التهميشات على الأحاديث قد اقتبسناها عن كتاب « الحلية » .

« دعوه ، كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد » (١) .

وعن سفيان ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ، أنا أبو القاسم والله يعطي وأنا أقسم » (٢) .

وعن سفيان الثوري ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن كعب ابن عجرة قال :

« لما نزلت : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً » جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ! هذا السلام عليك قد عرفناه فيكف الصلاة عليك ؟ فقال ، قل :

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد » (٣) .

وعن الثوري ، عن محمد بن عبيدة ، عن محمد بين سيرين ، عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) بديل هذا هو بديل بن ميسرة . والحديث تفرد به الشاذكوني ، ورواه الناس عن عبد الرحمن عن بديل نفسه .

(٢) غريب من حديث الثوري تفرد به عنه إسحاق .

(٣) متفق عليه لا أعلمه رواه عن الثور عن إبراهيم إلا قبيصة .

« لا يسأل الله عبدٌ لي الوسيلة إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة »[1] .

عن سفيان الثورى ، عن الأعمش ، عن ذكوان أبي صالح ، عن أبي هريرة :

أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي حتى تورم قدماه ، فقيل له :

أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ؟ قال :

« أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ »[2] .

عن سفيان بسنده عن عائشة قالت :

« كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يتحـــرى صوم الاثنين ، والخميس »[3] .

حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما منكم من أحد ينجيه عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال :

« ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل » .

زاد قبيصة :

« ووضع يده على رأسه » .

وزاد الغريابي :

---

(١) غريب تفرد به خالد بن يزيد العمرى .

(٢) مشهور بأبي حذيفة عن الثورى ورواه الغريابي عنه وهو عزيز .

(٣) تفرد به عن الثورى الغريابي .

« ولو يؤاخذنى بما جنى هؤلاء لأوبقنى » . وأشار بيده .

عن سفيان عن الأسود بن قيس العبدى عن ثبيج أبى عمرو عن جابر ، قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأصحابه :

« امشوا أمامى وخلوا ظهرى للملائكة » .

عن سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكرت الساعة احمرّ وجهه واشتد غضبه » .

عن سفيان الثورى ، عن ابن أبى ذؤيب ، عن الزهرى ، عن عباد ابن تميم ، عن عمه قال :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، متكئاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى » [1] .

عن سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » [2] .

عن سفيان عن هشام بن عمرة عن أبيه عن عائشة قالت :

سابقت النبي صلى الله عليه وسلم ، فسبقته ، فلما لحمت سابقته فسبقنى ، فقال يا عائشة :

---

(١) غريب من حديث الثورى (الحلية) .

(٢) تفرد به عن الثورى الفريابى .

« هذه بتلك » [١] .

روى سفيان بسنده عن أم سلمة قالت :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما تزوجها أقام عندها ثلاثة أيام ، وقال :

إنه ليس بك على أهلك هوان ، إن شئت سبعت لك ، وإن سبعت لك ، سبعت لنسائى » [٢] .

عن حامد بن يحيى ، حدثنا عبدالرزاق قال :

رأيت فى كتاب سفيان بن سعيد : أخبرنى جعفر – يعنى ابن سليمان البصرى – عن ثابت عن أنس قال :

خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عشر سنين ، فكان بعض أهله إذا قال لى شيئاً ، قال :

« دعوه فما قدر سيكون » .

عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل الخلاء غطى رأسه ، وإذا أتى أهله غطى رأسه » [٣] .

عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد النوم جمع يديه فتفل فيهما

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به يحيي بن حسان .

(٢) لم يروه عن الثورى مجوداً إلا يحيي بن سعيد .

(٣) تفرد به عن الثورى خالد وعلى بن حيان المخزومى .

بالمعوذتين ، فمسح بهما وجهه »(١) .

عن سفيان الثورى ، عن محمد بن المنكدر عن جابر قال :

ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا »(٢) .

عن سفيان عن الأعمش ، عن عطية عن أبى سعيد قيل : يا رسول الله ! أعطنا شيئاً . قال :

« تسألونى ويأبى الله لى البخل »(٣) .

عن سفيان بسنده ، عن عبادة بن الصامت قال :

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه بردة ليس عليه غيرها ، فصلى بنا »(٤) .

حدثنا سفيان عن منصور ، عن طلحة بن مصرف ، عن أنس ابن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يمر بالتمرة فى الطريق فلا يعرض لها ، فيقول :

« لولا أنى أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها »(٥) .

عن سفيان عن يزيد بن عبد الله ، عن جده ابن برد عن أبى موسى قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا أتاه سائل ، أقبل عليـه

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به يمان عن خالد .

(٢) مشهور من حديث الثورى (الحلية) .

(٣) غريب من حديث الثورى والأعمش لا أعلمه رواه غير حفص (الحلية) .

(٤) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

(٥) صحيح متفق عليه من حديث الثورى .

بوجهه فقال :

« اشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » .

أنبأ سفيان عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت :

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن درعه لمرهونة بثلاثين صاعاً من شعير »(١) .

عن سفيان ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة قال :

« دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى جالساً فقلت : يا رسول الله !

تصلى جالساً ، فما أصابك ؟ قال :

الجوع يا أبا هريرة . قال : فبكيت . فقال :

لا تبك ، فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب فى دار الدنيا »(٢) .

عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا قفل من سفر قال :

« آيبون ، تائبون لربنا حامدون »(٣) .

---

(١) صحيح متفق عليه من حديث الأعمش والثورى (الحلية) .

(٢) غريب من حديث الثورى وإبراهيم لم نكتبه إلا من حديث ابن عيسى عن الجزرى متصلا مسنداً . و « احتسب فى دار الدنيا » أى رضى الله عنه وعن قضائه واستبشر بما منحه الله من نعمة الابتلاء بالجوع .

(٣) صحيح متفق عليه مشهور من حديث الثورى .

أنبأ سفيان عن الأعمش ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال :
ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه » [١] .

عن سفيان عن جعفر بن عمران ، عن أنس قال :
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عشر سنين فما لامني فيما نسيت ، ولا فيما ضيعت ، فإن لامني بعض أهله ، قال :
« دعوه ، فما قدر فهو كائن » [٢] .

عن سفيان عن إسماعيل بن مسلم عن مالك بن عمير – وكان قد أدرك الجاهلية قال :
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله !
إني سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحاً ، فلم أقتله ، فلم يشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

عن سفيان عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال :
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الخندق وهو يقول :
والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إذ لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا » [٣]

---

(١) مشهور من حديث الثوري عن الأعمش .
(٢) كذا رواه معاوية عن سفيان عن جعفر بن عمران عن أنس (الحلية) .
(٣) متفق عليه من حديث أبي إسحاق والثوري .

وروى سفيان بسنده ، عن أنس عن عائشة قالت :
« ما رأيت عورة النبي صلى الله عليه وسلم ، قط »[١] .
عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا عائشة ! لا توكى فيوكى عليك ، أنفقى ينفق عليك » .
وروى الثورى بسنده عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها »[٢] .
وعن سفيان عن إبراهيم بن إسماعيل القرشى ، عن أبيه عن جده :
أن النبي صلى الله عليه وسلم ، استسلف من عبد الله بن ربيعة ، ثلاثين ألفاً — أو أربعين ألفاً — فى بعض مغازيه ، فلما قدم قال :
خذها بارك الله لك فى أهلك ومالك ، فما جزاؤك إلا الوفاء والحمد » .
وعن سفيان عن عكرمة عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، عق عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً » .
وعن سفيان بسنده عن أنس بن مالك ، أن جبريل عليه السلام :
أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس حزيناً قد خضبه بعض أهل مكة فقال له : مالك ؟ قال :
فعل بى هؤلاء وفعلوا ، فقال :

---

(١) هذا من مفاريد يوسف عن الثورى عن محمد .
(٢) غريب من حديث الثورى عن محمد لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم ابن عبد السلام (الحلية) .

تحب أن أريك آية ؟

قال : نعم . قال :

فنظر إلى شجرة من وراء الوادى ، فقال :

ادع تلك الشجرة ، فدعاها فجاءت تمشى حتى مالت بين يديه ، فقال لها :

« ارجعى ، فرجعت إلى مكانها »[١] .

ولقد سئل سفيان الثورى : من آل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :

أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

الصحابة

* أبو بكر :

عن سفيان الثورى ، عن آدم بن على عن ابن عمر ، قال :

بينما النبى صلى الله عليه وسلم ، جالس وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد جللها على صدره بجلال ، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام ، فأقرأه من الله السلام ، وقال :

يارسول الله ! مالى أرى أبا بكر عليه عباءة ، قد جللها على صدره بجلال ؟

---

(١) غريب من حديث الثورى وإبراهيم تفرد به نصر عن بشر (الحلية) .

قال : يا جبريل ، أنفق ماله عليّ قبل الفتح .
قال : فأقرئه من الله السلام ، وقل له ، يقول لك ربك :
أراض أنت عني فى فقرك هذا ، أم ساخط ؟
فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أبي بكر فقال :
يا أبا بكر ، هذا جبريل يُقرئك السلام من الله ، ويقول :
أراض أنت عني فى فقرك هذا ، أم ساخط ؟
فبكى أبو بكر وقال :
أعلى ربى أغضب ؟
أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض »[١]

* **عمار :**

وعن سفيان عن أبي إسحاق عن هانئ عن على رضى الله عنهم ، قال :
« استأذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :
« مرحباً بالطيب » .
وعن سفيان عن ابن خالد ، عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من سب أصحابى فعليه لعنة الله »[٢] .

---

(١) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من حديث الفزارى (الحلية) .
(٢) كذا رواه أبو يحيى الحماني عن سفيان وأرسله وتفرد به عنه .

فى الجهاد

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عباس قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم :

جميع أعمال بنى آدم تحضره الملائكة الكرام الكاتبون إلا حسنات المجاهدين فى سبيل الله ، فإن الملائكة الذين خلقهم الله يعجزون عن علم إحصاء حسنات أدناهم »(١) .

روى سفيان بسنده عن زيد بن خالد الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من جهز غازياً أو جهز حاجًّا ، أو خلفه فى أهله ، أو فطر صائماً ، فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً »(٢) .

عن الثورى بسنده ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ارتبط فرساً فى سبيل الله كان علفه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة » .

عن سفيان عن الأعمش عن أبى وائل عن أبى موسى قال :

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء . فأى ذلك

(١) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

(٢) رواه يزيد بن زريع عن سفيان مثله .

فى سبيل الله ؟ فقال :

« من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى سبيل الله » .

عن سفيان بسنده عن عمر قال :

وأخرى تقولونها فى مغازيكم قتل فلان شهيداً ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قتل فى سبيل الله أو مات فهو فى الجنة » .

النية

روى عن سفيان الثورى أنه قال :

« ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيته فقدموا النية ثم اتبعوها » .

وعن عبد الله بن المبارك قال : قلت لسفيان :

أيؤاخذ العبد بالهمة ؟

قال : إذا كان عزماً حوسب عليها » .

وقال يعلى بن عبيدة : سمعت سفيان يقول :

الظن ظنان ، فظن فيه إثم ، وظن ليس فيه إثم ، فأما الظن الذى فيه إثم ، فالذى يتكلم به ؛ وأما الظن الذى ليس فيه إثم ، فالذى لا يتكلم به » .

عن عبد الله بن المبارك يقول : سمعت سفيان الثورى يقول :

« ما أطاق أحد العبادة ، ولا قوى عليها إلا بشدة الخوف » .

وعن ابن غزالة قال : قال سفيان :

الفاجر الراجى لرحمة الله ، أقرب إلى الله من العابد الذى يرى أنه لا ينال ما عند الله إلا بعلمه » .

فى الصلاة

عن الثورى بسنده عن عبد الله بن شداد بن الهادى قال : قال أبو هريرة :

« الوضوء مما مسَّت النار » .

فقال مروان :

وكيف نسأل أحداً وفينا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيننا وأمهاتنا ؟

فأرسلنى إلى أم سلمة فسألتها فقالت :

« أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد توضأ فناولته عرقاً ، أو كتفاً فأكل منها ثم قام إلى الصلاة ، ولم يتوضأ » .

وعن سفيان عن محمد بن جابر عن قيس بن طلق ، عن أبيه ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قال سئل رسول الله صلى الله وسلم ، عن مسّ الذكر فقال :

« إنما هو بضعة منك » .

وعن سفيان الثورى بسنده عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« السواك مطهرة للفم ، مرضاة لله » .

عن سفيان عن إبراهيم بن جرير عن أبيه قال :
« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسح على الخفين » .
عن سفيان الثورى بسنده عن زياد بن الحارث الصدائى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من أذن فهو أحق أن يقيم » .
عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، اللهم أرشد الأئمة ، واغفر للمؤذنين » .
عن سفيان عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، قال :
قلت يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » .
قلت : فإذا كان بعض القوم فى بعض ؟
قال : فإن استطعت ألا يراك أحد فافعل .
قلت : أرأيت إن كان أحياناً أحدنا خالياً لا يراه إلا الله ؟
قال : « فالله أحق أن يستحى منه » اهـ
عن ابن المبارك قال :
سألت سفيان الثورى ، عن الرجل يصلى أى شيء ينوى بصلاته ؟
قال : « ينوى أن يناجى ربه » .
عن سفيان بسنده عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مفتاح الصلاة الطُّهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

عن ابن أبي غنية قال : كان سفيان الثوري يقول :

« إذا رأيت الرجل حريصاً على أن يؤتم فأخره » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال :

أمرني النبي صلى الله عليه وسلم ، أن أنادي : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » .

عن المحاربي قال : سمعت سفيان الثوري يقول للغلام إذا رآه في الصف الأول : « احتلمت ؟ فإذا قال : لا ، قال : تأخر » .

عن بشر بن الحارث يقول : قال قاسم الجرجي ، سمعت سفيان الثوري يقول : « يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها » .

روى سفيان بسنده عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسفروا بصلاة الفجر ، فإنه أعظم للأجر » .

عن سفيان الثوري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أدرك من الفجر ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك ، ومن أدرك من العصر ركعة قبل أن تغيب الشمس فقد أدرك » .

وروى سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد : حدثنا البراء وهو غير كذوب قال :

« كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يحن أحد منا ظهره حتى يضع النبي صلى الله عليه وسلم جبهته »[١] .

عن فاروق الخطابي بسنده عن سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر ، عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، بالمدينة ، أراد الرخصة على أمته » .

وعن الثورى بسنده عن ابن عباس قال :

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الظهر والعصر فى غير مطر ولا خوف ، فقيل لابن عباس : لم فعل ذلك ؟

قال : « أراد ألا يحرج أمته »[٢] .

عن عبد الله بن محمد بن جعفر بسنده ، عن سفيان ، عن معاذ ابن جبل قال :

« جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى غزوة تبوك »[٣] .

وروى أبو محمد بن حيان بسنده عن سفيان الثورى عن أبي الزبير عن جابر :

« أن النبي صلى الله عليه وسلم ، جمع بين الظهر والعصر بالمدينة من غير سفر ، ولاخوف ، وبين المغرب والعشاء » .

---

(١) متفق عليه .

(٢) مشهور عن الثورى من حديث أبي الزبير ، ورواه الثورى عن عدة من شيوخه عن سعيد بن جبير .

(٣) ورواه عن أبي الزبير عن جابر .

حدثنا أبو سعيد عن معاذ بن جبل قال :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء »[1] .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر :

« أنه كان يصلى على الحصير ، ويضع جبهته عليها » .

عن سفيان عن بكير بن الأجنس ، عن رجل ، عن جابر :

« أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى على راحلته حيث توجهت به » .

عن سفيان بسنده عن أنس بن مالك قال :

ركزت الدرة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى إليها والحمار من ورائها » .

عن سفيان بسنده عن عبد الله :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قنت فى الوتر قبل الركعة » .

لا أعلم رواه عن الثورى إلا أبو النصر .

عن سفيان بسنده عن عبد الله بن عمار قال :

« رأيت عمر رضى الله تعالى عنه ، يصلى على عبقرى »[2] .

عن سفيان الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

---

(١) تفرد به عثمان عن الثورى وللثورى فيه روايات أخرى مختلفة عن الحجازيين والعراقيين تكثر وتطول اقتصرنا منها على ما ذكرنا .

(٢) فى المختار . وفى الحديث « أنه كان يسجد على عبقرى » وهو هذه البسط التى فيها الأصباغ والنقوش

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام كلها ، وما من سهل ولا جبل ، ولاشيء إلا ويستعيذ بالله من يوم الجمعة » .

عن سفيان بسنده عن عبادة بن الصامت قال :

« خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه بردة ليس عليه غيرها ، فصلى بنا » .

فى الفقه

عن شعيب بن حرب يقول : قلت لسفيان الثورى :

ما تقول فى رجل قصار[١]. إذا كسب درهماً كان فيه ما يقوته ويقوت عياله ، ولم يدرك الصلاة فى جماعة . وإذا كسب أربع دوانيق ، أدرك الصلاة فى جماعة ، ولم يكن فيه ما يقوته ، ويقوت عياله ؟ أيهما أفضل ؟ قال : « يكسب الدرهم ويصلى وحده » .

سئل سفيان الثورى عن الإمام يروى الأحاديث على المنبر فقال : « حسن » .

عن سفيان بسنده عن رافع بن خديج ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسفروا بصلاة الفجر ، فإنه أعظم للأجر » .

عن سفيان بسنده عن البراء – وهو غير كذوب – قال :

« كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم لم يحن أحد منا ظهره ،

---

(١) القصار : من يدق الثوب ويبيّضه (أقرب الموارد) .

حتى يضع النبي صلى الله عليه وسلم جبهته » .

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على جنازة فى المسجد ، فلا شيء له » .

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة قال :

سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى (إذا السماء انشقت) ، وفى (اقرأ باسم ربك) .

عن سفيان بسنده عن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قنت فى الوتر قبل الركعة .

عن سفيان عن أفلح بن حمير عن القاسم بن محمد قال :

« كان اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمة لهؤلاء الناس » .

عن سفيان بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الجمعة على من يسمع النداء » .

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه بلغه أن قوماً يتخلون عن الجمعة فقال :

« لقد هممت أن أخلف رجلاً يصلى بالناس فأحرق على أقوام بيوتهم » .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »(١) .

وقال الأوزاعى :

كنت أقول فيمن ضحك فى الصلاة قولاً ، لا أدرى كيف هو ؟

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به عنه معاوية .

فلما لقيت سفيان الثورى سألته ، فقال لى :
« يعيد الوضوء ، ويعيد الصلاة » فأخذت به .
عن سفيان الثورى بسنده عن أم قيس بنت محصن قالت :
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن دم المحيض يصيب الثوب ؟ فقال : « اغسليه بماء وسدر وحكيه بضلع » .
عن الثورى عن إسحاق بن عبد الله بن كنانة ، حدثنى أبى قال :
أرسلنى أمير من الأمراء إلى ابن عباس ، أسأله عن الاستسقاء ، فقال ابن عباس :
« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متواضعاً متذللا ، متضرعاً فخطب ولم يخطب كخطبتكم هذه ، فدعا وصلى كما يصلى العيدين ركعتين .

فى الصدقة

عن سفيان بسنده ، عن ابن عباس قال :
استعمل النبى صلى الله عليه وسلم الأرقم بن أبى الأرقم على الصدقات فاستتبع أبا رافع ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله فقال :
« يا أبا رافع ! إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد ، وإن مولى القوم من أنفسهم » .
عن سفيان بسنده عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يكن فبكلمة طيبة » .
عن سفيان بسنده عن على قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجل فقال :

كانت لى مائة أوقية فتصدقت بعشر أواق ، وقال آخر :

كانت لى عشر أواق فتصدقت منها بأوقية ، وقال آخر :

كانت لى عشرة دنانير فتصدقت منها بدينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم فى الأجر سواء »[١] .

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن على كل مسلم فى كل يوم صدقة ، قال : قلنا :

ومن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : إن سلامك على المسلم صدقة ، وعيادتك المريض صدقة ، وصلاتك على الجنازة صدقة ، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة ، « وعونك الصانع صدقة » اهـ.

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس المسكين الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى أن يسأل الناس ، ولا يفطن له فيُتَصدَّق عليه » ا هـ .

عن سفيان بسنده عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« هدايا الأمراء غُلُول »[٢] .

---

(١) غريب من حديث أبي إسحاق ، ورواه عنه الثورى وإسرائيل وغيرهما ويلاحظ أن كلا منهم قد دفع فى الصدقة عشر ما يملك ، لم يزد عليه .

(٢) أى خيانة .

فى الصوم

عن سفيان ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين » .

عن سفيان الثورى بسنده عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم » .

عن سفيان الثورى بسنده عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتزال أمتى بخير ما عجلوا الإفطار » .

عن سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تسحروا فإن فى السحور بركة » .

عن سفيان بسنده عن على قال :

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوقظ أهله فى العشر الأواخر» .

وعن الثورى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الطاعم الشاكر مثل الصائم الصامت » .

عن سفيان الثورى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا سلم رمضان ، سلمت السنة ، وإذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » (١) .

عن سفيان بسنده عن عائشة قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُقَبِّل بعض نسائه وهو صائم » .

عن سفيان عن ابن عمر قال :

« أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن كل صغير وكبير حر ، أو عبد ، صاعاً من شعير ، أو صاعاً من تمر ، فعدل الناس بمدّين من بر » .

فى الحج

عن سفيان بسنده عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« عجلوا الخروج إلى مكة ، فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له من مرض أو حاجة » .

عن سفيان عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حج هذا البيت أو اعتمر ، فلم يفسق ولم يرفث ، كان كما ولدته أمه » .

عن سفيان بسنده عن عائشة قالت :

(١) تفرد به إبراهيم عن أبي خالد القرشي ، ورواه يحيى بن سعيد بن سفيان الثورى .

كأنى أنظر إليه وبعض الطيب فى مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو محرم » .

أنبأ سفيان بسنده عن عبد الرحمن بن يعمر الدؤلى ، قال :

« أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة فجاء أناس – أو نفر – من أهل نجد قال : فأمروا رجلا فنادى ، يارسول الله ، كيف الحج ؟ فأمر رجلان فأذن :

« الحج يومُ عرفة ، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع ، تم حجه ، أيام منى ثلاثة أيام : من تعجل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه ، ثم أردف رجلا خلفه ، فجعل ينادى به » .

عن سفيان بسنده عن ابن عباس وعائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخر طواف الزيارة إلى الليل » (١) .

عن سفيان بسنده عن ابن عباس قال :

« رفعت امرأة صبياً لها من محفة ، فقالت : يا رسول الله ! ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر » .

عن سفيان عن محمد بن حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أنه كان أكثر دعائه يوم عرفة : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

عن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة ، عن أنس بن مالك قال :

صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الظهر بالمدينة أربعاً ، والعصر

---

(١) غريب تفرد به يحيى عن سفيان .

بذى الحليفة ركعتين » (١) .

عن سفيان بسنده عن أسامة بن زيد قال :

خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، من عرفة حتى مر بالشعب الذى ينزل فيه الأمراء قال :

فتوضأ وضوءاً بين الوضوءين قال : قلت يا رسول الله ، الصلاة ؟ قال :

« الصلاة أمامك حتى أتى جمعاً فأقام فصلى المغرب فلم يحل آخر الناس حتى أقام فصلى العشاء » .

عن سفيان بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف صنعت فى استلامك الحجر ؟ قال :

قلت : استلمت وتركت ، قال : أصبت » .

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عمر قال :

« ما تركت استلام الحجر فى رخاء ولا شدة منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه » .

عن سفيان عن أيمن بن نائل ، عن قدامة بن عبد الله ، قال :

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يرمى جمرة العقبة على ناقة صهباء ، لا ضرب ، ولا طرد ، ولا إليك إليك » (٢) .

وعن سفيان بن محمد بن عبيد الله ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : قام عند الجمرتين ملبياً » .

---

(١) مشهور من حديث الثورى وإبراهيم .

(٢) رواه عن الثورى عبد الله بن وهب ، وعيسى بن جعفر ، وخالد العمرى ، وغيرهم .

عن عبد الرزاق قال :
كنت جالساً مع أبي حنيفة فى دبر الكعبة ، فجاء رجل فقال :
يا أبا حنيفة ، ألا أعجبك من الثورى ؟ .
رأيته يلبي على الصفا ، قال : اذهب ويحك ، فالزمه ، فإنه لا يلبي على الصفا إلا لعلم .
قال عبد الرزاق : فتعجبت منه ، فقلت :
«ألم تسمع حديث مسروق ، عن عبد الله ، أنه لبى على الصفا ؟ » .
عن سفيان الثورى بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت :
دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال :
« صنعت اليوم شيئاً لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت ما صنعته ، قالت قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال :
دخلت البيت وخشيت أن يأتى الآتى من بعدى فيقول :
حججت ولم أدخل البيت ، وأنه لم يكتب علينا دخوله ، إنما كتب علينا طوافه » .

فى الفتوى

عن سفيان بسنده عن قيس بن عاصم ، « أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يغتسل بماء وسدر .
وروى سفيان بسنده أن ابن عباس خالف أهل الصلاة فى زوج ، وأبوين ، فقال : للأم الثلث من جميع المال .

وعن سفيان بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه : « أنه سأله رجل عن رجل فارق امرأته ، وأنه تزوجها ، ولم يأمرنى ، ولم أعلمه ؟ فقال ابن عمر : لا ، الإنكاح رغبة ، إن رضيت أمسكت ، وإن كرهت فارقت ، كنا نعد هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سفاحاً » .

عن سفيان وشعبة عن محمد بن جحادة عن أبى حازم عن أبى هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : « نهى عن كسب الأمة »(١)

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من عزى مصاباً كان له مثل أجره » (٢) .

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

أنه مر بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال : وجبت .

ومر بجنازة أخرى ، فأثنوا عليها شرًّا فقال : وجبت .

قالوا يا رسول الله ! ما وجبت ؟ قال :

« بعضكم شهداء على بعض » (٣) .

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة قال :

« لما نزل « ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) غريب من حديث الثورى عن محمد رواه يوسف القطار عن وكيع عن سفيان مثله .

(٢) غريب عن الثورى عن محمد رواه شعبة ومعمر وإسرائيل وعبد الحليم ابن منصور فى آخرين عن محمد بن سوقة .

(٣) غريب من حديث عامر تفرد به إبراهيم ورواه عنه الثورى وشعبة .

« أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة »(١) .

عن سفيان الثورى بسنده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه ، كما يدركه الموت »(٢) .

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رجم يهودياً ويهودية بالبلاط » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قال لا إله إلا الله ، أنجته يوماً من دهره ، أصابه ما أصابه قبل ذلك » .

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله قال : قال رجل :

يا رسول الله ! أنؤاخذ بما عملنا فى الجاهلية ؟ قال :

« من أحسن فى الإسلام فلا يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ، ومن أساء فى الإسلام أوخذ بالأول والآخر » .

عن سفيان بسنده عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يطوف على نسائه هذه ، ثم هذه ، ثم يغتسل منهن غسلاً واحداً »(٣).

---

(١) تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى .

(٢) تفرد به عن الثورى يوسف بن أسباط .

(٣) غريب من حديث محمد بن جحادة والثورى .

وروى سفيان بسنده عن ابن عباس . أن رجلا زوج ابنته بكراً أو ثيباً ، فأنكرت ذلك ، فرد النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها » .

وروى سفيان بسنده عن الحارث بن عمرو قال :

« بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه ، بقتله وسلب ماله » .

وروى سفيان بسنده عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« تربت يداك ، أو ما علمت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ؟ » .

روى سفيان بسنده عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نذر في معصية الله ، وكفارته ، كفارة يمين » .

عن سفيان بسنده عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« كسر عظم الميت ككسرهُ حيًّا » .

روى سفيان بسنده عن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تَهاجَروا ، ولا تَدابروا ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً ، هجرة المؤمن ثلاث ، فإن تكلما وإلا أعرض الله عنهما حتى يتكلما » .

عن مطرف بن مازن قال : سمعت الثوري يقول :

« من جاع ولم يسأل ، فمات دخل النار » .

وفي رواية أخرى بنفس السند .

« من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار » .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر قال :

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن بيع الغرر[١] » .

عن سفيان الثورى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق » .

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا قتل الرجل وأمسكه الآخر ، قتل الذى قتل ، وحبس الذى أمسك » .

حدثنا سفيان بسنده عن أنس بن مالك ، أنه كان عنده مال ليتيم فاشترى به خمراً ، فلما حرمت الخمر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

« أجعله خلا ؟ فقال : لا ، أهرقه » .

عن سفيان عن الأعمش عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أول ما يقضى يوم القيامة بين الناس فى الدماء » .

عن سفيان بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا عقد فى الإسلام ، ولا إسعاد ، ولا شغار ، ولا جلب ولا جنب » .

---

(١) الغَرَر بفتح المعجمة : هو ما كان له ظاهر يغر به المشترى ، وباطن مجهول . وقال الأزهر : بيع الغرر : ما كان على غير عهده ولا ثقة ، وتدخل فيه البيوع التى لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول » النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ٣ ص ٣٥٥ .

عن سفيان بسنده عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الذميم ، إنهن يردن ما تريدون » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا لقيتم المشركين فى الطريق ، فلا تبدءوهم بالسلام » .

عن سفيان الثورى بسنده عن زيد بن خالد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من اعتبط[١] مؤمناً قتلا فهو قود يده والمؤمنون عليه كافة ، لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤويه أو ينصره ، فمن آواه ، أو نصره فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل[٢] » .

عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : قال سفيان الثورى :

« النظر إلى وجه الظالم خطيئة ، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم ، لئلا تحبط أعمالكم » .

عن عبد الرحمن بن مهدى قال : سئل سفيان الثورى عن نبيذ السقاية قال : « إن كان يسكر فلا تشربوه » .

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : كان الثورى يقول :

« الحلال لا يحتمل السرف » .

---

(١) أى قتله بلا جناية منه ولا جريرة توجب قتله ، فإن القاتل يقاد به ويقتل

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه .

في الأخلاق

حدثنا سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الله إذا أحب عبداً قال لجبريل ناد في السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، وإذا أبغض عبداً نادى في السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه » [١] .

وروى سفيان بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

وروى سفيان بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاث من كنوز البر ، إخفاء الصدقة ، وكتمان الشكوى ، وكتمان المصيبة » ، يقول الله تعالى :

« إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده ، أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فإن أبرأته ، أبرأته ولا ذنب له ، وإن توفيته فإلى رحمتي » .

عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مشهور من حديث سهيل بن أبي صالح غريب من حديث الثوري تفرد به قطبة ، حدث به عن قطبة أبو حاتم الرازي وأقرانه .

إن السخاء شجرة فى الجنة ، وأغصانها فى الدنيا ، فمن أخذ بغصن منها جره إلى الجنة ، والبخل شجرة فى النار ، وأغصانها فى الدنيا ، فمن أخذ بغصن منها جره إلى النار »[١] .

عن سفيان الثورى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله عيناً بكت من خشية الله ، ورحم الله عيناً سهرت فى سبيل الله »[٢] .

عن سفيان الثورى وموسى بن عبيدة بسندهما عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن خيار الصديقين من دعا إلى الله ، وحبب عباده إليه ، ومن شر الفجار من كثرت أيمانه ، وإن كان صادقاً ، وإن كان كاذباً لم يدخل الجنة »[٣]

عن سفيان الثورى عن عبيد الله بن عمرو عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كان الناس يعودون داود عليه السلام يظنون به مرضاً وما به من شىء إلا الخوف من الله والحياء »[٤] .

حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى قال :

سئل سفيان الثورى عن هذا الحديث : « إن الله يبغض أهل البيت

---

(١) تفرد به عبد العزيز وعنه عاصم .

(٢) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من حديث الجهبذى .

(٣) غريب من حديث الثورى تفرد به عبد الملك .

(٤) مشهور من حديث الثورى .

اللحميين » قال :

« هم الذين يأكلون لحوم الناس » .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يقام الرجل من مجلسه فيجلس فيه آخر ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » (١) .

حدثنا سفيان بسنده عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لقد دخل رجل الجنة ، ما عمل خيراً قط ، قال لأهله حين حضره الموت :

« إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اسحقوني ، ثم ذروا نصفي فى البر ، ونصفي فى البحر ، فأمر الله البر والبحر فجمعاه ، فقال :

« ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : مخافتك ، فغفر له بذلك » .

وروى سفيان بسنده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم ، وإشباع جوعته ، وتنفيس كربته » .

عن سفيان الثورى ، وشريك ، وسفيان بن عيينة عن سليمان الأعمش عن خيثمه ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا ترضين أحداً يسخط الله ، ولا تحمدن أحداً على فضل الله ، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، إن الله بقسطه وعدله جعل الرَّوح والفرج فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط » .

عن سفيان بسنده عن وهب بن جابر قال :

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به عنه الأشجعى .

كنت مع عبد الله بن عمر ببيت المقدس ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » .

عن سفيان بسنده عن أبي علقمة الضبعي قال :

رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا سيئ الهيئة ، فقال :

ألك مال ؟ قال : نعم ، من كل أنواع المال ، قال :

« فلير عليك ، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ، ولا يحب البؤس ولا التباؤس »[1] .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنكم ستحرصون على الإمارة ، وإنها يوم القيامة حسرة وندامة ، فنعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة » .

وروى سفيان بسنده عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى امرأة ومعها أولادها قد حملت واحداً والبقية يمشون حولها فقال :

« والوالدات حاملات رحيمات ، لولا ما يلقين إلى أزواجهن دخلت مصلياتهن الجنة » اهـ

وروى سفيان بسنده عن سهل بن سعد قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته معه مدراة يسرح بها لحيته ، إذ جاء إنسان فاطلع من جحر في حجرته ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

« لو علمت أنك تنظرني لفقأت بهذه المدراة عينيك ، إنما جعل الإذن من أجل البصر » .

---

(١) مشهور من حديث الثوري .

وعن سفيان فيما رواه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل الذى يعين قومه على غير الحق كمثل بعير هوى فى بئر وهو ينزع بذنبه »(١) .

عن سفيان بسنده عن عباد بن تميم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا ناعياً العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » .

عن سفيان بسنده عن عمر بن الخطاب يقول :

يأيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من تواضع لله رفعه » . وقال :

انتفش رفعك الله ، فهو فى نفسه صغير ، وفى أعين الناس عظيم ، ومن تكبر خفضه الله ؛ وقال :

« اخسأ خفضك الله ، فهو فى نفسه كبير ، وفى أعين الناس صغير حتى يكون أهون من كلب »(٢) .

حدثنا سفيان الثورى بسنده عن أبى هريرة — أو عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكنه رضى منهم بما يحقرون »(٣) .

---

(١) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من حديث عبد الله بن الوليد (أبو نعيم) .

(٢) غريب من حديث الثورى تفرد به سعيد بن سلام .

(٣) رواه مصعب بن ماهان من غير شك .

عن سفيان عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قال المرء هلك الناس فهو من أهلكهم » [١] .

عن سفيان وأبي بكر بن أبي سبره عن سهيل أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقُه » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل لمن استطال على مسلم انتقصه حقه ويل له » ثلاثاً .

عن سفيان حدثني أبو الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن عرش إبليس على البحر ، يبعث سراياه ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة »[٢]

عن سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« العين تدخل الرجل القبر ، والجمل القدر »[٣] .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أسقي ورجل عن يميني ، ورجل أشب مني عن شمالى ، فناولت

---

(١) رواه مؤمل وغيره عن الثورى مثله .

(٢) مشهور من حديث الثورى وأبو الزبير اسمه محمد بن مسلم بن تدرس .

(٣) غريب من حديث الثورى تفرد به معاوية .

الشاب فقيل لى : « كبر ، أى أعط الأكبر » [١] .

عن سفيان بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أرسل على عاد من الريح إلا قدر خاتمى هذا » [٢] .

عن سفيان الثورى عن أبى حازم عن سهل بن سعد ، قال : قال رجل : يا رسول الله !

دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ، قال :

« ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس [٣] .

عن سفيان الثورى بسنده عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » .

« المنَّان الذى لا يُعطى شيئاً إلا منة . والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر » [٤]

عن سفيان الثورى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما ذئبان ضاريان أرسلا فى غنم أغفلها أهلها بأسرع فيها فساداً

---

(١) تفرد به الغزاوى وعنه الأشعث .

(٢) غريب من حديث الثورى ، وسهيل لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

(٣) غريب من حديث الثورى عن أبى حازم مرفوعاً تفرد به الثورى عن أبى حازم .

(٤) مشهور من حديث الأعمش .

من طلب الشرف والمال فى دين المسلم »(١).

حدثنا سفيان الثورى بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع فيها فساداً من حب الشرف والمال فى دين المرء المسلم »(٢).

عن سفيان الثورى بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله ».

عن سفيان بسنده عن على بن أبي طالب قال :

بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى شيء فقلت : يا رسول الله إذا بعثتنى فى الشيء أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ».

عن سفيان بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه »(٣).

عن سفيان بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »(٤)

---

(١) تفرد به الذمارى ولم نكتبه إلا من حديث إبراهيم .

(٢) تفرد به أبو قرة .

(٣) هذا الحديث من صحاح أحاديث الثورى عن الأعمش ومشاهيره .

(٤) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى .

والخيلاء : بضم الخاء المعجمة وكسرها أيضاً ، وبفتح الياء المثناة تحت ممدوداً هو الكبر والعجب . والمخيلة بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة من الاختيال وهو الكبر واستحقار الناس .

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنك لن تتقرب إلى بشىء أحب إلى من الرضا بقضائى . ولن تعمل عملا أحبط لحسناتك من الكبر . يا موسى لا تضرع لأهل الدنيا فأسخط عليك ، ولا تخف بدينك لدنياهم فأغلق عليك أبواب رحمتى .

« يا موسى قل للمذنبين أبشروا ، وقل للعاملين المعجبين اخسروا » (١)

حدثنا سفيان بسنده عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » .

عن سفيان بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أجيبوا الداعى ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين »(٢)

عن عمار بن محمد عن سفيان الثورى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا كان للمؤمن عش كعش الطير ، وماء ، وخبز ، وملح ، فذلك من النعيم » .

عن الثورى بسنده عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا نعس أحدكم وهو يصلى فلينم على فراشه ، فإنه لا يدرى أيدعو على نفسه ، أو يدعو لها » .

عن سفيان الثورى بسنده عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به سليمان ، وعنه يونس .

(٢) غريب من حديث الثورى تفرد به يحيي بن الضريس .

صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام ، فقام رجل وقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ فقال :

إن تغديت رجعت إلى عشاء ، وإذا تعشيت يبيت معك غداء ؟

قال : نعم . قال : لست منهم . فقام رجل فقال :

أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال :

هل سمعت ما قلنا لهذا ؟ قال : نعم .

قال : هل تجد ثوباً ستراً سوى ما عليك ؟ قال : نعم .

قال : فلست منهم .

فقام آخر فقال :

أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال :

هل سمعت ما قلت لهذين قبلك ؟ قال : نعم .

قال : هل تجد قرضاً كلما شئت أن تستقرض ؟ قال : نعم .

قال : فلست منهم .

فقام آخر فقال :

أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال :

هل سمعت ما قلنا لهؤلاء قبلك ؟ قال : نعم .

قال : هل تقدر أن تكتسب ما يغنيك ؟ قال : نعم .

قال : فلست منهم .

قال : فقام خامس ، فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال :

هل سمعت ما قلت لهؤلاء ؟ قال نعم . قال :

هل تمسى عن ربك راضياً ، وتصبح كذلك ؟ قال نعم .

قال : فأنت منهم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

إن سادة المؤمنين فى الجنة من إذا تغدى لم يجد العشاء ، وإذا تعشى لم يبت معه غداء ، وإن استقرض لم يجد قرضاً ، وليس له فضل كسوة إلا ما يوارى به ما لا يجد منه بداً ، ولا يقدر على أن يكسب ما يغنيه ، يمسى عن الله راضياً ، ويصبح راضياً .

« أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً » (١) .

عن سفيان بسنده عن قيس بن أبى عرعرة قال :

جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نبيع الرقيق بالمدينة ، وكنا نسمى أنفسنا السماسرة ، فسمانا بأحسن مما سمينا به أنفسنا ، فقال :

« يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره اللغو والأيمان فشوبوه بصدقة » .

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة قال :

لدغت عقرب رجلا فلم ينم ليلته ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن فلانا لدغته عقرب فلم ينم ليلته ، فقال :

« أما إنه لو قال حين أمسى أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، ما ضرته لدغة عقرب حتى يصبح » (٢)

---

(١) هذا حديث غريب من حديث الثورى عن محمد بن يزيد .

(٢) تفرد به الأشجعى عن الثورى .

عن المستقبل

عن سفيان بسنده عن ابن مسعود قال :

انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو فى قبة من أدم معه أربعون رجلا ، فقال :

إنه مفتوح لكم ومنصورون ، ومصيبون ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليتق الله ، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

عن سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء فيه بما أصاب من المال ، أمن حلال أم من حرام » .

عن سفيان بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنها ستكون أثرة وأمور تكرهونها ، قالوا يا رسول الله ! فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم.»[(١)] .

حدثنا سفيان بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما يزال البلاء بالمؤمن فى دينه ونفسه وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة .(٢) .

---

(١) مشهور من حديث الثورى صحيح من حديث الأعمش عن زيد .

(٢) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من حديث المعلى عنه .

عن سفيان بسنده عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاثة ، أخ يستأنس به ، أو درهم من حلال ، أو سنة يعمل بها »[١]

في الآخرة

عن سفيان بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته »[٢] .

قال إبراهيم : « كانوا يضربون على العهد والشهادة ونحن صغار » .

عن سفيان بسنده عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه ، قال :
« فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر »[٣] .

عن أبي خالد قال : سمعت سفيان يقول :
ينبغي لأهل الميت أن يلقنوه الشهادة فإن ملك الموت عليه السلام إذا غمز ميتـه انقطع كلامه وانقطعت معرفته ، فيسقى سكرة الموت ، فلو أن بيده سيفاً ضرب أباه إن قدر » .

عن سفيان الثوري بسنده عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين » .

---

(١) غريب من حديث الثوري تفرد به روح بن صلاح . (٢) متفق عليه .
(٣) تفرد به الزبير عن الثوري وعنه الجوهري .

حدثنا سفيان بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من يوم إلا ويعرض على أهل القبور مقاعدهم من الجنة والنار »(١)

عن يوسف بن أسباط قال : سمعت سفيان الثورى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لسلمان :

« إن طعام أمرائى بعدى مثل طعام الدجال ، إذا أكله الرجل انقلب قلبه » .

عن سفيان بسنده عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بين يدى الساعة خسف ومسخ وقذف »(٢)

عن الحارث بن منصور يقول :

شكا رجل إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مظلمة فقال :

« المظلومون هم المفلحون يوم القيامة » .

عن سفيان بسنده عن زيد بن وهب قال : قال عبد الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس أحد أشد على الدجال من بنى تميم ، وقال :

« لا يخرج حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن خروجاً من نفسه »(٣)

وروى سفيان بسنده عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقعد المقتول بالجادة ، فإذا مر به القاتل أخذه فقال :

---

(١) عزيز من حديث الثورى حدث به عثمان بن أبي شيبة عن عبيد الله .

(٢) غريب من حديث الثورى لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم عن مؤمل .

(٣) تفرد به مصعب عن الثورى .

« يارب هذا قطع على صومى وصلاتى ، قال : فيعذب القاتل والآمر به »

عن سفيان الثورى بسنده عن أبى هريرة قال :

« لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً »(١)

عن سفيان بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تقوم الساعة إلا نهاراً »(٢) .

عن سفيان الثورى بسنده عن ابن عمر قال : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

يقال للرجل يوم القيامة ، قم فاشفع فيشفع لقبيلته ، فيقال للآخر : قم فاشفع فيشفع لأهل البيت فيقال للآخر : قم فاشفع فيشفع للرجل والرجلين ، على قدر عمله »(٣) .

عن سفيان بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

عن سفيان الثورى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، نصف يوم »(٤)

عن سفيان الثورى بسنده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) غريب من حديث سهيل رواه عن الثورى غير واحد .

(٢) تفرد به شهاب عن الثورى .

(٣) غريب من حديث آدم لم يروه عنه الثورى .

(٤) مشهور من حديث الثورى .

وسلم : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » (١) .

عن سفيان بسنده عن البراء قال :

أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم ، حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« أتعجبون من لين هذه ؟

لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة ، خير من هذا وألين »(٢)

عن سفيان الثورى بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الكافر ليلجم بعرقه من شدة ذلك اليوم - يعنى يوم القيامة — حتى يقول : « يارب ارحمنى ولو إلى النار » (٣)

سفيان الثورى والقرآن

لقد كان سفيان الثورى معنيًّا بالقرآن عناية كبيرة ، ولا يتأتى أن يكون الأمر على غير ذلك ، فالقرآن فى حياة المسلم هو الأساس الأصيل الذى بدونه لا يكون إسلام .

يقول الوليد بن عقبة :

« كان سفيان الثورى يديم النظر فى المصحف ، فيوم لا ينظر فيه .

---

(١) غريب من حديث الثورى تفرد به عبد الله .

(٢) ثابت صحيح مشهور من حديث الثورى .

(٣) تفرد به عبد الغفار الثورى .

يأخذه فيضعه على صدره » .

ويقول أبو خالد :

« صحبت سفيان فى طريق مكة فكان يقرأ فى المصحف كل يوم ، فإذا لم يقرأ فيه ، فتحه فنظر فيه وأطبقه » .

وقال عبد الرزاق :

« كان الثورى جعل على نفسه لكل ليلة جزءاً من القرآن ، وجزءاً من الحديث . قال :

فيقرأ جزءه من القرآن ثم يجلس على الفراش فيقرأ جزءاً من الحديث ، ثم ينام » .

ولقد روى المؤرخون أن سفيان عرض القرآن – فى بواكير حياته – أربع مرات على حمزة الزيات .

وكان سفيان يقول عن نفسه :

« سلونى عن التفسير والمناسك ، فإنى بهما عليم » .

ولقد روى سفيان أن أحاديث شريفة عن القرآن الكريم ، نذكر منها ما يلى :

عن سفيان بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالشفاءين القرآن والعسل » .

وعن سفيان الثورى بسنده عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « زينوا القرآن بأصواتكم » .

وروى سفيان بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ على القرآن أجراً فذاك حظُّه من القرآن » .

وعن سفيان بسنده عن عبد الله بن يزيد عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« تعلموا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة » .

وروى سفيان بسنده عن على قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من قرأ يس عدلت له عشرين حجة ، ومن كتبها ثم شربها ، أدخلت جوفه ألف يقين ، وألف رحمة ، ونزعت منه كل غل وداء » [١] .

وعن سفيان بسنده عن أبي أيوب الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن » .

ومن أجل عناية الثورى بالقرآن يقول الأوزاعى :

« لو قيل لى اختر رجلا يقوم بكتاب الله ، وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، لاخترت لهما التورى » .

---

(١) يريد والله أعلم أن من قرأ « يس » فتدبرها وعمل بما فيها واستقام على أوامرها ، واجتنب نواهيها ، وخشع لها ، وأصبحت من لحمه ودمه ، فى روحها وروحانيتها ، وهى قلب القرآن ، فإنها تكون له كما ذكر ، وهذا الاتجاه فى تفسير هذا الحديث يدل عليه فى آخر الحديث (ونزعت منه كل غل وداء) والداء هنا يشمل الجانب النفسى والجانب المادى . وما من شك فى أن من استقام على أوامر « يس » واجتنب نواهيها وعاش فى جوها الأخلاقى والروحى فقد ظفر بخير عميم ، أما مجرد قراءة « يس » فإنه بداهة ، ليس هو المراد وعلى هـذا الوضع يجب حمل الأحاديث التى من هذا القبيل .

ومع عناية الثورى بالتفسير ، فإنه لم يفسر القرآن على الطريقة المعروفة الآن ، وهى تتبع القرآن من أوله ، سورة سورة ، وآية آية ، حتى ينتهى إلى آخره ، دون أن يترك آية بدون تفسير .

إن سفيان ما كان يعجبه هذا النمط من التفسير ، يقول وكيع :

كان سفيان لايعجبه هؤلاء الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها مثل الكلبى .

أما المفسرون الذين كان يعجب بهم سفيان فإنهم :

ابن جبير – ومجاهد – وعكرمة – والضحاك .

وكان تقديره لمجاهد أكثر من تقديره لغيره ، بل وصل إعجابه وثقته بمجاهد ، أنه كان يقول :

« إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك » .

كان سفيان إذن يفسر آية من هنا ، وآية من هناك ، إنه كان يفسر الآية التى تحتاج إلى نوع من الشرح أو الإيضاح ، الذى يحتاجه بعض الناس : لقصورهم فى اللغة ، أو لقصورهم فى الثقافة .

والقرآن فى نفسه واضح وضوح الأسلوب العربى المبين .

لقد أنزله الله بلسان عربى مبين .

وقد يعجز بعض الناس عن الوصول فى العربية إلى المستوى الذى يدرك به بعض الآيات أو بعض الكلمات . وهؤلاء الذين يعجزون عن هذا الإدراك تتفاوت أعدادهم ونسبهم من زمن لآخر بسبب انتشار العجمة فى الأمم الإسلامية أو عدم انتشارها .

وعجزهم هذا لا تقع المسئولية فيه على القرآن ، وإنما تقع عليهم هم .

وهم بهذا العجز آثمون ، إنهم آثمون فى حق أنفسهم فإن روحانية القرآن لا تعد لها روحانية فهم يحرمون أنفسهم من النعيم بأسمى ما فى الكون من جو روحى . وهم آثمون فى حق دينهم ، فإنهم قصروا عن البلوغ إلى فهم مصدره الأول ، وكل محاولة يقصد بها التمكن من اللغة العربية للوصول إلى فهم مصدر الدين الأول إنما هى عبادة ، وهى ثقافة ، وهى وسيلة إلى ثقافة أعلى ، ثقافة أسمى ما تكون الثقافة فى اللغة ، فى الأدب ، فى الأخلاق ، فى العقائد ، وفى الدين على وجه العموم .

وإذا فسر الإنسان القرآن كلمة كلمة ، وآية آية ، وسورة سورة ، على هذا النسق الحالى ، فقد قيد القرآن – فى وهمه وفى وهم من تبعه – بفكرته ، بثقافته ، بعقليته ، بهواه إن كان صاحب هوى .

وما من شك فى أن أسلوب القرآن يتحكم فى المفسر ولكن المفسر مهما حاول أن يستجيب إلى أسلوب القرآن ، فإنه يجد مجالاً للتأويل حتى يصل إلى ما يرى – بحسب مستواه – أنه حق . ومع ذلك ، ومع كل ما قاله المفسرون من قدماء ، ومن محدثين ، وبرغم مئات الشروح التى وضعت للقرآن، فإن القرآن ما زال غضاً نضراً جديداً فياضاً بالمعانى سيالا بالإلهامات ، ومن أجل هذه النضرة ، ومن أجل ترك أبواب الإلهامات يوحيها القرآن كل يوم لقارئه : لم يفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن كلمة كلمة ، وسورة سورة ، وإنما هى كلمة من هنا وآية من هناك ، بحسب الظروف والمقتضيات ، وانظر مثلاً كتاب التفسير فى صحيح البخارى ، أو فى صحيح مسلم ، أو فى غير ذلك من كتب الصحاح فستجد أن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو على ما ذكرنا .

ولم يحاول كبار الصحابة تفسير القرآن على الوضع المألوف عندنا الآن .

وما كان موقفهم هذا عن عجز أو قصور عما نفعله ، نحن الآن ، وإنما كانوا يرون أن القرآن فى انطلاقه الموحى وفى نظرته الملهمة باستمرار وفى تأثيره الروحى والأخلاقى يجب ألا تحده حدود ، وألا تقيده قيود ذهنية بشرية .

وأنه من الخير أن يتصل الإنسان بالقرآن عن طريق مباشر ، وألا تكون صلته عن طريق فلان أو فلان .

ومن الخير أن يفتح الإنسان صدره للقرآن يستلهمه الرشد ، ويستوحيه الهدى ، وبجوار القرآن شارحاً له بصورة عملية وموضحاً له فى الأسلوب الواقعى : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة كبار الصحابة الذين تابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى سلوكه ، واستجابوا إليه فى توجيهاته .

لقد كان سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلوك كبار صحابته ، ومنهم الذين بُشِّروا فى حياتهم الدنيا بالجنة : بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، لما رأى فى سلوكهم من استقامة قرآنية ، ولما رأى ببصيرته فى قلوبهم إخلاصاً فى الاستجابة لله ولرسوله ، ولما رأى فى نطقهم من إدراك عميق لما أحب الله ورسوله ، نقول :

لقد كان فى سلوكهم تفسير عملى ، وتطبيق واقعى للقرآن .

والطريقة المستقيمة هى : ألا يفسر القرآن بكلاميات هذا ، وبنحويات ذاك ، وألا يكون مسرحاً للنزاع العقائدى أو النحوى ، أو غير ذلك من أهواء الناس وانحرافاتهم . وإنما يستمر : موحياً ، نضراً ، ملهماً .

فإذا أردنا له شرحاً وإيضاحاً فعلينا بأمرين :

(ا) التمكن من اللغة ، لغة القرآن ، اللغة التى قدسها نزول القرآن بها ، اللغة الوحيدة فى العالم التى تحوى فى العصر الحاضر نصاً دينياً لم يشبه تحريف ، ولم ينله تبديل ، اللغة التى أصبحت دراستها بعد نزول القرآن بها — عبادة .

(ب) دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخير مصدر لدراسة سيرته ، هى كتب الصحاح أولاً ، أمثال البخارى ، ومسلم ، رضى الله عنهما ، ثم كتب السيرة المعتمدة .

أما هذه الأبحاث المستفيضة التى يثيرها المفسرون للقرآن فى النحو ، أو فى علم الكلام ، أو فى الفقه ، فإن لها أماكن أخرى من علم الكلام ، أو من الفقه ، أو من كتب النحو ، ويجب أن يكون تفسير القرآن بمنآى عنها .

ومن أجل بقاء استمرار القرآن فياضاً بالهداية ، لا يحجب نبعه الصافى حجاب من مِراء أو من جدل ، التزم سلفنا الصالح الخطة المحكمة : تفسير كلمة من هنا أو آية من هناك ، بحسب الظروف والأحوال .

وسار سفيان الثورى على نسقهم ، بل إنه فى الأغلب الأعم من تفسيره التزم أن يعزو كل رأى إلى صاحبه ، وأحب من الذين تحدثوا فى التفسير ، طائفة معينة ، وآثر من بين هذه الطائفة « مجاهد » .

وفيما يلى نمط من تفسيره جمعناه من المتناثرات هنا وهناك وخصوصاً ما وجد منه فى « الحلية » .

وتخيرنا طائفة صالحة من التفسير الذى طبع باسمه فى الهند ، والذى أشرنا إليه آنفاً .

وفيما يلي نماذج من تفسيره للقرآن الكريم :

سورة البقرة

١ — يقول الله تعالى : « فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [١]
روى سفيان عن مجاهد :
« فَلا تَجْعَلُوا اللهِ أَنْداداً » قال : عدلاء . « وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » . يا أهل الكتاب : تعلمون أنه واحد فى التوراة والإنجيل » .

٢ — ويقول سبحانه : « وأتوا به مُتَشابِهاً » [٢] . قال سفيان : « متشابهاً » لونه واحد ، مختلف طعمه .

٣ — ويقول تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرونَ بالله ، وكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » [٣] . روى سفيان بسنده عن عبد الله قال :
هى مثل الآية التى فى أول المؤمن : « رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ ، وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ » .

٤ — وقوله سبحانه : « إِنِّى جاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً » [٤] .
روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال :
« إن الله جل وعز ، أخرج آدم من الجنة ، من قبل أن يخلقه ، ثم قرأ : « إِنِّى جاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً » .

---

(١) البقرة آية : ٢٢ .
(٢) البقرة آية : ٢٥ .
(٣) البقرة آية : ٢٨ .
(٤) البقرة آية : ٣٠ .

٥ — وقوله تعالى : « لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ ، عَوانٌ بَيْنَ ذَلِكَ » [١] . قال سفيان : فارض مسنة ، وبكر صغيرة ، وعوان : « التى قد ولدت بطناً ، أو بطنين ، قال : بين ذلك » .

٦ — وقوله سبحانه : « بقرة صفراء ، فاقع لونها » [٢] . قال سفيان : ناصع ، المبالغ فى الصفرة .

٧ — وقوله تعالى : « مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها »[٣] . قال سفيان . ليس فيها لون ، ولا أثر .

٨ — وقوله سبحانه : « مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ، وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » [٤] . قال سفيان : « من كسب سيئة ، قال : الشرك : « وأحاطت به خطيئته » قال : كل عمل أوجب عليه النار .

٩ — وقوله سبحانه : « الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوتِهِ »[٥] . روى سفيان : بسنده عن أبى رزين : قال فى هذه الآية : « يتبعونه حق اتباعه » .

١٠ —وقوله تعالى : « وإذْ جَعَلْنا الْبَيْتَ مَثابَةً للنَّاس »[٦]. روى سفيان بسنده عن سعيد بن جبير قال : « يثوبون إليه لا يقضون منه وطراً »

١١ —وقوله سبحانه : « صِبْغَةَ اللهِ ومَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً » [٧]

---

(١) البقرة آية : ٦٨ .
(٢) البقرة آية : ٦٩ .
(٣) البقرة آية : ٧١ .
(٤) البقرة آية : ٨١ .
(٥) البقرة آية : ١٢١ .
(٦) البقرة آية : ١٢٥ .
(٧) البقرة آية : ١٣٨ .

قال سفيان ، فى قوله : صبغة الله ؛ دين الله . « ومن أحسن من الله صبغة » قال : ديناً .

١٢ —وقوله تعالى: « سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّـــاسِ » [١] . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : اليهود .

١٣ —وقوله سبحانه : « وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وسَطاً » [٢] . روى سفيان بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : « عدلاء » .

١٤ —وقوله تعالى : « لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاس » [٣] . روى سفيان بسنده عن أبى سعيد قال : على الأمم بأن الرسل ، قد بلغوا » .

١٥ —وقوله سبحانه : « ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً » [٤] روى سفيان بسنده عن أبى سعيد قال : شهيداً عليكم فيما فعلتم » .

١٦ —وقوله تعالى : « ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَل الذِى يَنْعقُ بما لا يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِداءً » (٥) . روى سفيان بسنده عن عكرمة قال : الشاة ، والبقر ، والبعير .

١٧ —وقوله سبحانه : « فَما أصْبَرَهُمْ عَلَى النَّــار » (٦) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : ما أجرأهم على النار . قال ما أحملهم على عمل أهل النار » .

١٨ —وقوله تعالى : « البَأْساء والضَّراء ، وحِينَ البَــأْسِ » (٧) قال

---

(١) البقرة آية : ١٤٢ .

(٢) البقرة آية : ١٤٣ .

(٣) البقرة آية : ١٤٣ .

(٤) البقرة آية : ١٤٣ .

(٥) البقرة آية : ١٧١ .

(٦) البقرة آية : ١٧٥ .

(٧) البقرة آية : ١٧٧ .

سفيان : البأساء الفقر ، والضراء المضرة ، وحين البأس ، القتال »

١٩ –وقوله سبحانه : « إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ » (١) . روى سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن علياً دخل على رجل من بنى هاشم وهو يريد أن يوصى ، وكان قليل المال ، وكان له ولد ، فقال على :

إنما قال الله تبارك وتعالى : « إن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ » . وليس فى مالك فضل عن ولدك – فنهاه عن الوصية .

٢٠ –وقوله تعالى : « وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ » (٢) روى سفيان بسنده عن سعيد قال : الشيخ الكبير الذى يصوم فيعجز ، والحامل أن يشتد عليها الصوم ، يطعمان لكل يوم مسكيناً .

٢١ –وقوله سبحانه : « ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » (٣) . روى سفيان بسنده عن حذيفة قال : ألا تنفق .

٢٢ –وقوله تعالى : « ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » روى سفيان أيضاً عن ابن عباس قال : أنفق ولو بمشقص (٤) فى سبيل الله .

٢٣ –وقوله سبحانه : « فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ ، أَوْ صَدَقَةٍ . أَوْ نُسُك (٥) . روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : « كل شىء فى القرآن « أو » . « أو » نحو قوله : ففدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك ، فهو يخير ، ما كان « فمن لم يجد » فهو على الأول ، ثم يخير فيه .

٢٤ –وقوله تعالى : « فمن فرض فيهن الحج » (٦) . روى سفيان

---

(١) البقرة آية : ١٧٧ .

(٢) البقرة آية : ١٨٤ .

(٣) البقرة آية : ١٩٥ .

(٤) المشقص : نصل السهم .

(٥) البقرة آية : ١٩٦ .

(٦) البقرة آية : ١٩٧ .

بسنده عن إبراهيم قال : أحرم فيهن .

٢٥ —وقوله سبحانه : « فَلا رَفَثَ ، ولا فُسُوقَ ، ولا جِدالَ »(١)
روى سفيان عن مجاهد قال :

الرفث : الجماع ، والفسوق : السباب ، والجدال : أن تمارى صاحبك حتى تغضبه .

٢٦ —وقوله تعالى : « وإنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّين »(٢) .
قال سفيان : قبل القرآن .

٢٧ —وقوله سبحانه : «ثم أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ »(٣)
حدثنا سفيان الثورى بسنده عن عائشة قالت : كانت قريش تقول عن قُطان البيت لا تفيض إلا من منى ، وكان الناس يفيضون من عرفات ، فأنزل الله تعالى :

« ثُمَّ أفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ »

٢٨ —وقوله تعالى : « ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرْضاتِ الله »(٤) . قال سفيان : نزلت في صهيب ، اشترى نفسه من المشركين ، وأهله ، وولده ، بماله ، على أن يدعوه ودينه .

٢٩ —وقوله سبحانه : « كانَ النَّاسُ أمَّةً واحِدَةً »(٥) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : آدم صلوات الله عليه .

٣٠ —وقوله تعالى : « لا تُضارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها ، ولا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ »(٦) .

---

(١) البقرة آية : ١٩٧ .
(٢) البقرة آية : ١٩٨ .
(٣) البقرة آية : ١٩٩ .
(٤) البقرة آية : ٢٠٧ .
(٥) البقرة آية : ٢١٣ .
(٦) البقرة آية : ٢٣٣ .

روى سفيان بسنده عن إبراهيم قال : « إذا قام الرضاع على ثمن ، فالأم أحق » .

٣١ —وقوله سبحانه : « وعَلَى الوارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ » (١) . روى سفيان بسنده عن إبراهيم قال : الرضاع .

٣٢ —وقوله تعالى : « لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضتُمْ بِهِ من خِطْبَةِ النِّسَاء » (٢) روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : « التعريض أن تقول : إنى أُريدُ أَنْ أتزوج ثلاث مرات » .

٣٣ —وقوله سبحانه : « وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ » (٣) . روى سفيان بسنده عن سعيد بن جبير قال : « علمه » .

٣٤ —وقوله تعالى : « لِيَطْمَئِنَّ قَلبِى » (٤) . حدثنا محمد بن على ابن الحسن قال : سمعت أبى يقول : حدثنا عثمان بن زائدة ، عن سفيان الثورى قال : فى قوله « ليطمئن قلبى » قال : « بالخلة » .

٣٥ —وقوله سبحانه : « واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيه إلىَ اللهِ » (٥) روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : آخر شيء نزل من القرآن : « واتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيه إلى اللهِ » .

٣٦ —وقوله تعالى : « وأشهدوا إذا تَبايَعْتُمْ » (٦) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : كان ابن عمر إذا باع بنقد أشهد ولم يكتب . وروى سفيان عن ليث قال : قال مجاهد : « إذا بعت بنسيئة فأشهد واكتب » .

---

(١) البقرة آية : ٢٣٣ .
(٢) البقرة آية : ٢٣٥ .
(٣) البقرة آية : ٢٥٥ .
(٤) البقرة آية : ٢٦٠ .
(٥) البقرة آية : ٢٨١ .
(٦) البقرة آية : ٢٨٢ .

٣٧ – وقوله سبحانه : « يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاء ، ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ » (١)
حدثنا عبد الرزاق عن سفيان قال : يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ، ويعذب من شاء بالذنب اليسير .

٣٨ – وقوله تعالى : « وإنْ تُبْدُوا ما فى أنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِه اللهُ » (٢) . حدثنا سفيان بسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : دخل قلوبهم منها شيء ولم يدخلها من شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » . فألقى الله فى قلوبهم الإيمان ، فأنزل الله تعالى .

« آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ » إلى قوله « إنْ نَسِينا أوْ أخْطأنا » قال : « قد فعلت » .

« رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بِهِ » (٣) قال : « قد فعلت » .

سورة آل عمران

٣٩ – يقول الله تعالى : « يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ » (٤) .
روى سفيان بسنده عن مرة الهمدانى قال :

سألت عبد الله فى قوله جل وعز : « يأيها الذين آمنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَ تقاته » . قال :

حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى » .

(١ ، ٢) البقرة آية : ٢٨٤ .
(٣) البقرة ٢٨٥ : ٢٨٦
(٤) آل عمران آية : ١٠٢ .

٤٠ —وقوله تعالى : « هذا بَيانٌ للنَّاسِ ، وهُدًى ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ »(١) روى سفيان بسنده عن الشعبي قال : بيان من العمى ، وهدى من الضلالة ، وموعظة من الجهل » .

٤١ —وقوله سبحانه · « ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيل الله أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »(٢) . روى سفيان بسنده عن مسروق قال : سألنا ابن مسعود عن قوله تبارك وتعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله . . الآية » . قال : أرواح الشهداء » عند الله كطير خضر ، تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، تسرح فى الجنة حيث شاءت — فاطلع إليها ربك اطلاعه ، فقال :

هل تشتهون من شيء فأزيدكم ؟ فقالوا :

ربنا ، أليس آتيتنا الجنة ، نسرح فيها حيث نشاء ؟

ثم اطلع الثانية : فقال لهم مثل ذلك ، وقالوا مثل ما قالوا : أول مرة .

ثم اطلع إليهم الثالثة ، فسألهم : هل تشتهون شيئاً فأزيدكم ؟ فقالوا : « ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل فى سبيلك مرة أخرى » .

٤٢ —عن سفيان بسنده عن عاصم بن لقيط عن أبيه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول . « ولا تحَسَنَّ . ولم يقل : ولا تحسِبنَّ » .

٤٣ —وقوله تعالى : « فزادَهُمْ إيمانـاً »(٣) روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : « الإيمان يزيد وينقص » .

٤٤ —وقوله سبحانه : « إنَّنا سَمِعْنا مُنادياً يُنادِى لِلْإِيمانِ »(٤)

---

(١) آل عمران آية : ١٣٨ .

(٢) آل عمران آية : ١٦٩ .

(٣) آل عمران آية : ١٧٣ .

(٤) آل عمران آية : ١٩٣ .

روى سفيان بسنده عن محمد بن كعب القرظى قال :
« المنادى الكتاب ، يعنى القرآن » .

سورة النساء

٤٥ —عن سفيان عن رجل عن مجاهد فى قوله :
« يأيُّها النـاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ »(١)
قال : آدم .
« وخلق منها زوجها » .
قال : حواء خلقت من ضلعه .
روى سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى :
« الذِي تَساءلُونَ بِهِ والأرْحامَ » .
« أسألك بالله وبالرحم » .
وعن سفيان عن خصيف عن عكرمة :
« الذى تساءلون به والأرحام » يقول :
« اتقوا الله ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها » .
٤٦ —وقوله سبحانه : « ذَلِكَ أدْنَى ألا تَعُولُوا » (٢) . روى سفيان بسنده عن أبى مالك قال : ألا تميلوا .
٤٧ —وقوله تعالى : « ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوالَكُمُ » (٣) . روى سفيان

---

(١) النساء آية : ١ .
(٢) النساء آية : ٣ .
(٣) النساء آية : ٥ .

بسنده عن مجاهد قال : النساء .

٤٨ —وقوله سبحانه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » . روى سفيان أيضاً بسنده عن ابن عباس قال : المرأة ، قال تقول :

أريد مرطاً بكذا ، أريد شيئاً بكذا ، أو تقول . . ، هى أسفه السفهاء .

٤٩ —وقوله تعالى : « وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَليأكُلْ بِالْمَعْرُوفِ » (١) روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : القرض .

٥٠ —وقوله سبحانه : « وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفاً » (٢) روى سفيان بسنده عن طاءوس قال : من أمر النساء .

٥١ —وحدثنا أيضا محمد بن يزيد بن خنيس المكى قال : سمعت سفيان الثورى : سئل عن قوله تعالى : « وخلق الإنسان ضعيفاً » ما ضعفه ؟ قال :

المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ، ولا هو ينتفع بها ، فأى شيء أضعف من هذا ؟

٥٢ —وقوله تعالى : « فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللهِ والرَّسُولِ » (٣) روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥٣ —وقوله سبحانه : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً » (٤) ، روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : ليس لقاتل المؤمن توبة ، ما نسختها

---

(١) النساء آية : ٦ .
(٢) النساء آية : ٢٨ .
(٣) النساء آية : ٥٩ .
(٤) النساء آية : ٩٣ .

آية منذ نزلت » .

٥٤ — وقوله تعـالى : « ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ » (١) . روى سفيان عن قيس بن مسلم عن إبراهيم قال : دين الله .

٥٥ —وقوله سبحانه : « قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ » (٢) . روى سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن رجل قال :

محمد صلى الله عليه وسلم : « وأَنْزَلْنا إليكم نوراً مُبيناً » قال : « الكتاب » .

سورة المائدة

٥٦ —يقول الله تعالى : « وطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ » (٣) روى سفيان عن مجاهد « وطعام » قال : الذبائح .

سورة الأنعام

٥٧ —يقول الله تعالى : « لأُنْذِرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغَ » (٤) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : من الأعاجم .

سورة الأعراف

٥٨ —يقول الله تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ » (٥) روى سفيان بسنده عن ابن عباس :

---

(١) النساء آية : ١١٩ .
(٢) النساء آية : ١٧٤ .
(٣) المائدة آية : ٥ .
(٤) الأنعام آية : ١٩ .
(٥) الأعراف آية : ١١ .

« خلقناكم فى أصلاب الرجال ، ثم صورناكم فى أرحام النساء » .

٥٩ — وقوله سبحانه : « ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ »(١) . حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم قال :

« من قبل دنياهم « ومن خلفهم » قال : من قبل آخرتهم . « وعن أيمانهم » من قبل حسناتهم ، « وعن شمائلهم » من قبل سيئاتهم .

٦٠ — وقوله تعالى : « وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ » (٢) .

حدثنا سفيان بسنده عن ابن عباس قال : « ورق التين » .

٦١ — وقوله سبحانه : « كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » (٣) . روى سفيان عن وفاء بن إياس عن مجاهد قال :

« يبعث المؤمن مؤمناً ، والكافر كافراً »

وروى سفيان أيضا بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يبعث كل عبد على ما مات عليه ، المؤمن على إيمانه ، والكافر على كفره » .

٦٢ — وقوله تعالى : « تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أَوَّلُ المُؤمنين »قال سفيان : « أول قومى إيماناً » (٤)

٦٣ — وقوله سبحانه : « سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ(٥) عن سفيان قال : « نسبغ عليهم النعم ، ونمنعهم الشكر » .

---

(١) الأعراف آية : ١٧ .

(٢) الأعراف آية : ٢٢ .

(٣) الأعراف آية : ٢٩ .

(٤) الأعراف آية : ١٤٣ .

(٥) الأعراف آية : ١٨٢ .

سورة الأنفال

٦٤ —يقول الله تعالى : « وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ » [١] .
قال سفيان : « الوسوسة » .

٦٥ — وقوله سبحانه : « إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانًا » [٢] . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : مخرجًا .

٦٦ —وقوله تعالى : «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ »[٣]. قال سفيان :الشرك »

٦٧ —وقوله سبحانه : « واعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ . فأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ » [٤] . حدثنان سفيان بسنده عن ابن عباس قال :

« لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً ، فله كذا وكذا ، فقتلوا سبعين ، وأسروا سبعين ، فجاء أبو اليسر بن عمرو بأسيرين ، فقال : يا رسول الله ! إنك وعدتنا أنه من قتل قتيلا ، فله كذا ، وكذا ، ومن أسر أسيراً ، فله كذا ، وكذا وقد جئت بأسيرين ، فقام سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله !.

إنه لم يمنعنا زهادة فى الأجر ، ولا جبن عن العدو ، ولكنا قمنا هذا المقام خشية أن يقتطعك المشركون ، وأنك إن تعط هؤلاء ، لا يبقى . لأصحابك شيء . فجعل هؤلاء يقولون ، وهؤلاء يقولون ، فنزلت :

« يسألونك عن الأنفال . . إلى قوله : « ذات بينكم » . قال:

---

(١) الأنفال آية : ١١ .
(٢) الأنفال آية : ٢٩ .
(٣) الأنفال آية : ٣٩ .
(٤) الأنفال آية : ٤١ .

فسلموا الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نزلت :
« واعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْء ، فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَه وللرَّسُول »

٦٨ —وقوله تعالى : « يأَيُّهــا الَّذِينَ آمَنُوا إذا لقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتوا واذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١) .

روى سفيان بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تَتَمَنَّوْا لِقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، وإن أنتم لقيتموهم فاثبتوا ، وأكثروا ذكر الله ، واصبروا ، فإن جلبوا وصيحوا فعليكم بالصمت » .

٦٩ —وقوله سبحانه : « تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعدُوَّكُمْ » (٢) . روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : تخزوهم به » .

٧٠ – وقوله تعالى : « إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُون صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ ، وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ » (٣) . روى سفيان بسنده عن عطاء قال : كان لا ينبغي لواحد أن يفر من عشرة ، فخفف الله عنهم » وعن سفيان عن ابن جريج عن عطاء ، مثله .

٧١ – وقوله تعالى : « فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين »(٤) . روى سفيان بسنده عن عطاء قال : لا ينبغي لواحد أن يفر من اثنين . وعن سفيان عن ابن جريج عن عطاء ، مثله .

---

(١) الأنفال آية : ٤٥ .
(٢) الأنفال آية : ٦٠ .
(٣) الأنفال آية : ٦٥ .
(٤) الأنفال آية : ٦٦ .

سورة التوبة

٧٢ –يقول الله تعالى : « فَقاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ ، إنَّهُمْ لا أيْمانَ لَهُمْ » [١] . روى سفيان بسنده عن عمار بن ياسر قال : لا عهد لهم .

٧٣ –وقوله سبحانه : « اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ والمسِيحَ » [٢] . روى سفيان بسنده عن حذيفة قال : كانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه » .

٧٤ –وقوله تعالى : « الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ » [٣] روى سفيان بسنده عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزلت : « والذين يكنزون الذهب والفضة » قال : اشتد ذلك على المهاجرين قالوا : .

فأى شيء نتخذ ؟ فقال عمر :

أنا أكفيكم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أى شيء نتخذ ؟ قال :

« لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة ، تعين أحدكم على دينه » .

٧٥ –وقوله سبحانه : « والغارِمِينَ وفِي سَبيلِ اللهِ ، وابْنِ السَّبِيلِ » [٤] . حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان بسنده عن مجاهد قال :

« إذا أصابته مصيبة ، أو احترق بيته ، أو ادان على عياله ، أو

---

(١) التوبة آية : ١٢ .
(٢) التوبة آية : ٣١ .
(٣) التوبة آية : ٣٤ .
(٤) التوبة آية : ٦٠ .

دهب السيل بماله فهو من الغارمين » .

٧٦ –وقوله تعالى : « والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل »[١]

روى سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال :

« الغارمين ، المستدينين بغير فساد ، وابن السبيل ، المجتاز من الأرض إلى الأرض » .

سورة يونس

٧٧ –يقول الله تعالى : « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ »[٢]

قال سفيـــان : إذا اشتهوا شيئاً قالوا : سُبْحَانَكَ اللهم ، فإدا هو بين أيديهم » .

وعن الأشجعى أيضاً قال : سمعت سفيان يقول فى قوله : « دعواهم فيها سبحانك اللهم ، قال :

إذا أراد الرجل من أهل الجنة يدعو لشىء قال : « سبحانك اللهم » فيأتيه الذى دعا به :

٧٨ –وقوله سبحانه : « قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ »[٣] . روى سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قال : هو الإسلام والقرآن »

وروى أيضاً أنه وقف فضيل على رأس سفيان وحوله جماعة ، فقال له :

« قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

---

(١) التوبة آية : ٦٠ .

(٢) يونس آية : ١٠ .

(٣) يونس آية : ٥٨ .

قال : فقال له سفيان : يا أبا علي ! والله لا نفرح أبداً حتى نأخذ دواء القرآن فنضعه على داء القلب » .

سورة هود

٧٩ –يقول الله تعالى : « ونادَى نُوحٌ ابْنَـهُ » (١) . روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : هو ابنه – ما بغت امرأة نبي قط » .

٨٠ – وقوله سبحانه : « وعَلَى أُمَمٍ مِمّنْ مَعَـكَ » (٢) . روى سفيان بسنده عن محمد بن كعب ، قال :

« دخل فيها كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة » .

٨١ – وقوله تعالى : « وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ » (٣). روى سفيان بسنده عن محمد بن كعب قال :

« دخل فيها كل كافر وكافرة ، وفاجر وفاجرة ، إلى يوم القيامة » .

٨٢ –وقوله سبحانه : « هؤلاءِ بنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ » (٤) . حدثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال : كل نبي أبو أمته – فأما لوط ، فإنه لم تكن له إلا ابنتان .

٨٣ – وقوله تعالى : « بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ » (٥) . روى سفيان ، عن ليث عن مجاهد قال : « طاعة الله خير لكم . . . » .

٨٤ –وقوله سبحانه : « خالدِينَ فِيها مَا دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ

---

(١) هود آية : ٤٢ .
(٢) هود آية : ٤٨ .
(٣) هود آية : ٤٨ .
(٤) هود آية : ٧٨ .
(٥) هود آية : ٨٦ .

إلا ما شاءَ ربُّكَ إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لما يَرِيدُ » (١) .

روى سفيان عن رجل عن الضحاك قال .

« إلا من استثنى من أهل القبلة الذى أخرجوا من النار » .

٨٥ –وقوله تعالى : « أقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَىِ النَّهارِ » (٢) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : « الفجر والظهر والعصر »

٨٦ – وقوله سبحانه : « وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ » (٣) روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : المغرب والعشاء .

٨٧ –وقوله تعالى : « ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ » (٤) . قال سفيان : منهم اليهود ، والنصارى ، « إلا من رحم ربك » قال : جعلها استثناء للمسلم ، ولذلك خلقهم ، قال : للرحمة .

سورة يوسف

٨٨ –يقول الله : « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » (٥) روى سفيان عن رجل عن مجاهد قال : فى غير جزع .

٨٩ –وقوله سبحانه : « وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ » (٦) روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : بعد حين .

٩٠ –وقوله تعالى : « إلا حاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاها » (٧) .

---

(١) هود آية : ١٠٧ .
(٢) هود آية : ١١٤ .
(٣) هود آية : ١١٤ .
(٤) هود آية : ١١٨ ، ١١٩ .
(٥) يوسف آية : ١٨ .
(٦) يوسف آية : ٤٥ .
(٧) يوسف آية : ٦٨ .

قال سفيان : خشى عليهم العين .

٩١ – وقوله سبحانه : « إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيم »[١] قالَ سفيان . حبه يوسف » .

٩٢ –وقوله تعالى : « سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى »[٢] . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : أخرهم إلى السحر » .

سورة الرعد

٩٣ –يقول سبحانه : « لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ »[٣] . قال سفيان : لا إله إلا الله » .

٩٤ –وقوله تعالى : « طُوبَى لَهُمْ »[٤] . روى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال : الجنة .

سورة إبراهيم

٩٥ –يقول سبحانه : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ »[٥] . قال سفيان حدثنا بعض أصحابنا عن مجاهد قال : « من أطاعنى » .

٩٦ –وقوله تعالى : « أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيهِمْ »[٦] . روى سفيان عن مجاهد قال :

لو قال إ براهيم : « اجعل أفئدة الناس تهوى إلَيهِمْ » لزاحمكم

---

(١) يوسف آية . ٩٥ .

(٢) يوسف آية . ٩٨

(٣) الرعد آية : ١٤ .

(٤) الرعد آية : ٢٩ .

(٥) إبراهيم آية : ٧ .

(٦) إبراهيم آية : ٣٧ .

عليه فارس والروم ، ولكنه قال : « أفئدة من الناس » .

٩٧ –وقوله سبحانه : « وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ »[١] .
قال سفيان : كانت قراءة عبد الله : « وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال ».

سورة الحجر

٩٨ – يقول الله تعالى : « كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُون »[٢] روى سفيان عن خصيف عن عكرمة قال : بقدر .

٩٩ – وقوله سبحانه : « لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجْمَعِينَ »[٣] حدثنا سفيان عن أبيه عن مجاهد قال : « عن قول لا إله إلا الله » .

١٠٠ –وقوله تعالى : « فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرْ »[٤] روى سفيان عن ليث عن مجاهد قال : « القرآن » .

سورة النحل

١٠١ – يقول الله تعالى : « تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ، ورِزْقاً حَسَناً[٥]
روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : السكر ما حرم من ثمرتها ، والرزق الحسن ، ما أحل من ثمرتها » .

وروى سفيان أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال فى قوله · « تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ، ورزقاً حسناً » قالَ : « السكر الحرام ، والرزق

---

(١) إبراهيم آية : ٤٦ .
(٢) الحجر آية : ١٩ .
(٣) الحجر آية : ٩٢ .
(٤) الحجر آية : ٩٤ .
(٥) النحل آية · ٦٧ .

الحسن الحلال » .

١٠٢ – وقوله تعالى : « يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونها »[١] . روى سفيان عن السدى قال : هو النبى صلى الله عليه وسلم .

١٠٣ – وقوله تعالى : « فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبةً »[٢] . عن سفيان بسنده عن ابن عباس قال : « الرزقَ الطيب فى الدنيا » .

سورة الإسراء

١٠٤ – يقول الله تعالى : « وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فى عُنُقِهِ »[٣] روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : عمله .

١٠٥ – وقوله سبحانه : « أَمَرْنا مُتْرَفِيها »[٤] . روى سفيان عن الأعمش قال : « أكثرنا مترفيها » .

١٠٦ – وقوله تعالى : « ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً »[٥]

روى سفيان عن رجل عن مجاهد قال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » لا تنفق شيئاً ، « ولا تبسطها كل البسط » قال : لا تسرف

---

(١) النحل آية : ٨٣ .

(٢) النحل آية · ٩٧ .

(٣) الإسراء آية : ١٣ .

(٤) قال الواحدى : تقول العرب ، أمر القوم ، إذا كثروا ، وأمرهم الله إذا كثرهم .

(٥) الإسراء آية : ٢٩ .

« فتقعد ملوماً محسوراً » قال : ملوماً فيما بينك وبين ربك ، محسوراً في مالك » .

١٠٧ – وقوله سبحانه : « سُنَّةَ مَنْ قَدْ أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسلنا[١] قال سفيان الثورى : يقول : « لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه إلا أهلكوا » .

سورة الكهف

١٠٨ – يقول الله تعالى : « فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً . ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَداً »[٢]. روى سفيان بسنده عن سعيد ابن جبير قال : « من كان يرجو لقاء ربه » قال : ثواب ربه ، « فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحَداً » قال : « لا يرائى » .

سورة مريم

١٠٩ – يقول الله تعالى : « فَحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصياً »[٣]. روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : ما كان حملها ، يعنى مريم إلا أن حملت ثم وضعت .

١١٠ – وقوله تعالى : « فَأجاءَها المخاضُ »[٤] روى سفيان عن رجل عن مجاهد ، قال : « ألجأها المخاض » .

---

(١) الإسراء آية : ٧٧ .
(٢) الكهف آية : ١١٠ .
(٣) مريم آية : ٢٢ .
(٤) مريم آية : ٢٣ .

سورة طه

١١١ – يقول الله سبحانه : « لِمَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى »[١] قال سفيان : تاب من الذنوب ، وآمن من الشرك ، « وعمل صالحاً ثم اهتدى » صام وصلى وعرف أن لها ثواباً » .

١١٢ – وقوله تعالى : « فلا يَخافُ ظُلْماً ولا هَضْماً »[٢] قال سفيان : « الظلم أن يظلم حقه ، والهضم ، أن يهضم بعض حقه » .

١١٣ – وقوله سبحانه : « فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً »[٣]. قال سفيان : حفظاً .

١١٤ – وقوله تعالى : « فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى »[٤]. روى سفيان عن جابر عن الشعبي قال : قال ابن عباس : أجار الله تابع القرآن بألا يضل فى الدنيا ، وألا يشقى فى الآخرة ، ثم قرأ : « فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

١١٥ – وقوله سبحانه : « لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ما مَتَّعْنَا بِهِ أَزْواجاً مِنهُمْ ، زَهْرَةَ الحَيَاةِ »[٥]. حدثنا مهران عن سفيان قال فى هذه الآية : تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) طه آية : ٨٢ .
(٢) طه آية : ١١٢ .
(٣) طه آية : ١١٥
(٤) طه آية : ١٢٣ .
(٥) طه آية : ١٣١ .

سورة الأنبياء

١١٦ — يقول الله تعالى : « لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيكُمْ كتاباً فيه ذِكْرُكُمْ »(١) قال سفيان : شرفكم ، وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَك وَلِقَوْمِكَ »(٢) قال : شرف لك ولقومك » .

١١٧ — وقوله سبحانه : « أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّموات وَالأرضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقناهُما »(٣). روى سفيان عن الضحاك فى قوله : « كانتا رتقًا ففتقناهما » قال : كن سبعًا ملتزقات . ففتق بعضهن من بعض ».

١١٨ — وقوله تعالى : « إِذْ يَحْكُمانِ فى الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ »(٤) روى سفيان بسنده عن مسروق قال :

الحرث عنب ، « إذ نفشت فيه غنم القوم » قال : بالليل ، قال : فحكم فيها داود عليه السلام ، أن تُدفع إليهم الغنم — قال سليمان : ما قال داود ؟ قالوا :

دفع إليهم الغنم ، لو كنت أنا ، لم أدفعها ، ولكن كنت أجعلها لهم ينتفعون بأصوافها ، وألبانها ، وسمنها ، ويقوم أصحاب الغنم بالحرث حتى يصيروه إلى مثل ما كان ، ثم ترد عليهم الغنم ، ويردوا الحرث على أربابه ، فأنزل الله عز وجل : « ففهمناها سليمان » .

١١٩ — وقوله سبحانه : « يَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ »(٥)

---

(١) الأنبياء آية : ١٠ .
(٢) الزخرف آية : ٤٤ .
(٣) الأنبياء آية : ٣٠ .
(٤) الأنبياء آية : ٧٨ .
(٥) الأنبياء آية : ٩٠ .

حدثنا بشر بن منصور عن سفيان الثورى قال : « يدعوننا رغباً ورهباً رغبة فيما عندنا ، ورهبة مما عندنا . « وكانوا لنا خاشعين » قال : الخوف الدائم فى القلب » .

١٢٠ – وقوله تعالى : « لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ »(١) . عن أبى داود الحضرمى يذكر عن سفيان الثورى فى قوله تعالى : « لا يحزنهم الفزع الأكبر » قال : تطبق النار على أهلها » .

١٢١ – وقوله سبحانه : « ولَقَدْ كَتَبْنا فى الزَّبُور مِنْ بَعْدِ الذِّكْر »(٢) روى سفيان بسنده عن سعيد بن جبير قال : الزبور التوراة ، والإنجيل ، والقرآن من بعد الذكر ، قال : الذكر ، الذى فى السماء » .

سورة الحج

١٢٢ – يقول الله تعالى : « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ »(٣). روى سفيان بسنده عن ابن مسعود أنه قال : من هم بخطيئة ولم يعملها ، لم تكتب عليه حتى يعملها ، ولو أن رجلا هم وهو يقدر أن يقتل رجلا عند البيت لأذاقه الله عذاباً أليماً ، ثم قرأ :

« ومَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » .

١٢٣ – وقوله سبحانه : « لِيَشْهَدُوا مَنَافع لَهُمْ (٤) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : « فيما يرضى الله لهم من الدنيا والآخرة .

---

(١) الأنبياء آية : ١٠٣ .
(٢) الأنبياء آية : ١٠٥ .
(٣) الحج آية : ٢٥ .
(٤) الحج آية : ٢٨ .

١٢٤ – وقوله سبحانه وتعالى : « فاذْكُروا اسْمَ اللهِ عَلَيْها صَوافَّ »[١] روى سفيان بسنده عن أبي ظبيان قال : سأل رجل ابن عباس عن « فَاذْكُروا اسم الله عليها صواف » قال : قياماً معقولة ، فقيل له : ما يقولون عند النحر ؟ قال يقولون :

« الله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك » .

١٢٥ – وقوله تعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ »[٢]. روى سفيان عن الأعمش قال : هي أول آية نزلت فى القتال » .

سورة المؤمنون

١٢٦ – يقول الله تعالى : « رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا »[٣]. عن الفضيل بن عياض قال : سمعت الثورى يقول : القضاء .

سورة النور

١٢٧ – يقول الله تعالى : « لا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فى دين الله »[٤]. روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : تعطيل الحد » .

١٢٨ – وقوله سبحانه : « قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ، ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا »[٥] . روى سفيان

---

(١) الحج آية : ٣٦ .
(٢) الحج آية : ٣٩ .
(٣) المؤمنون آية : ١٠٦
(٤) النور آية : ٢ .
(٥) النور آية : ٣١ .

عن منصور عن إبراهيم قال : هو ما فوق الذراع .

١٢٩ = وقوله تعالى : « لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله »(١) حدثنا يحيى بن حفص القارئ قال : سمعت سفيان الثورى يقول فى قوله : لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » كانوا يشترون ، ويبيعون ، ولا يدعون الصلوات المكتوبات فى الجماعة » .

١٣٠ – وقوله سبحانه : « وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرضِ »(٢) روى سفيان عن محمد بن كعب القرظى ، قال : هم الولاة » .

سورة النمل

١٣١ – يقول الله تعالى : « وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى »(٣) حدثنا أبو عاصم عن سفيان قال :

« هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم .

سورة القصص

١٣٢ – يقول الله تعالى : « كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلا وَجْهَهُ »(٤). حدثنا محمد بن الحسنى قال : سمعت الثورى يقول فى هذه الآية : « ما أريد به وجهه » .

---

(١) النور آية : ٣٧ .
(٢) النور آية : ٥٥ .
(٣) النمل آية : ٥٩ .
(٤) القصص آية : ٨٨

سورة العنكبوت

١٣٣ – يقول الله تعالى : « آلم أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ »(١) روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : يُبْتَلُونَ . « ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » . قال : ابتلينا » .

١٣٤ – وقوله سبحانه : « ولَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ »(٢). روى سفيان بسنده عن عبد الله بن ربيعة قال :

سألنى ابن عباس فى قوله : « ولذكر الله أكبر » . فقلت :
التكبير ، والتهليل ، والتحميد ، فقال ابن عباس :
« فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه » .

سورة الروم

١٣٥ –يقول الله تعالى : «وما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِى أمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ »(٣) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : « هى الهدايا »

وروى سفيان أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير قال : هو الرجل يعطى العطايا ليثاب عليها » .

---

(١) العنكبوت آية : ١ ، ٢

(٢) العنكبوت آية : ٤٥ .

(٣) الروم آية : ٣٩ .

سورة فاطر

١٣٦ – يقول الله تعالى : « لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدَهُمْ مِن فَضْلِهِ »(١) . حدثنا سفيان الثورى بسنده عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أجورهم الجنة يدخلونها ، ويزيدهم من فضله ، الشفاعة لمن وجبت له النار ، فيمن صنع إليهم المعروف فى الدنيا » .

١٣٧ – وقوله سبحانه : « أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ »(٢) روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال : العمر الذى أعذر الله فيه إلى أهله ستون سنة » .

سورة يس

١٣٨ – يقول الله تعالى : « ادْخُلِ الْجَنَّةَ »(٣) . روى سفيان بسنده عن مجاهد قال : وجبت لك الجنة .

سورة ص

١٣٩ – يقول الله تعالى . صٓ والقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ »(٤) . روى سفيان عن إسماعيل بن أبى خلد قال : ذى الشرف .

١٤٠ – وقوله تعالى : « هـذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

---

(١) فاطر آية : ٣٠ .

(٢) فاطر آية : ٣٧ .

(٣) يس آية : ٢٦ .

(٤) ص آية : ١ .

حِساب » (٤) . روى سفيان عن أبيه عن عكرمة قال : أعطه أو امنع – إن أعطيت أو منعت ، فليس عليك حساب » .

١٤١ – وقوله سبحانه : « وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أتْرابٌ » (١) . قال سفيان : قصرت أبصارهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم » .

سورة الزمر

١٤٢ – يقول الله تعالى : « ما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والْأَرْضُ جَمِيعاً ، قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ » (٢) . حدثنا سفيان بسنده عن عبيدة عن عبد الله قال : جاء جاءٍ من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد !

إن الله يضعُ السموات على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

« ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة » .

سورة غافر

١٤٣ – يقول الله تعالى : « يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ » (٣) . حدثنا محمد بسنده قال : سمعت سفيان الثوري يقول : وقيل له :

---

(١) ص آية : ٣٩ .

(٢) ص آية : ٥٢ .

(٣) الزمر آية : ٦٧ .

(٤) غافر آية : ١٩ .

« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » قال : الرجل يكون فى المجلس يسترق النظر فى القوم إلى المرأة تمر بهم ، فإن رأوه ينظر إليها اتقاهم فلم ينظر ، وإن غفلوا نظر ، هذا « خائنة الأعين » .

(وما تخفى الصدور) قال : ما يجد فى نفسه من الشهوة » .

١٤٤ – وقوله سبحانه : « أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ »(١) .

روى سفيان عن رجل عن مجاهد قال : « سفكة الدماء بغير حقها » .

سورة الشورى

١٤٥ – يقول الله تعالى : « وما أصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » (٢) . روى سفيان بسنده عن الحسن قال :

ما من خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق إلا هو بذنب ، وما يعفو الله عنا أكثر ، ثم قرأ :

« وما أصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، ويَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » .

١٤٦ – وقوله تعالى : « والَّذِينَ إذا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »(٣) .

روى سفيان بسنده عن إبراهيم قال : « كانوا يكرهون أن يستذلوا » .

سورة الزخرف

١٤٧ – يقول الله تعالى « وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) غافر آية : ٤٣ .

(٢) الشورى آية : ٣٠ .

(٣) الشورى آية : ٣٩ .

يرجعون »[١] . روى سفيان عن ليث عن مجاهدقال : «لا إله إلا الله» .

سورة الفتح

١٤٨ – يقول الله تعالى : « وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » [٢]
روى سفيان بسنده عن على قال : « لا إله إلا الله ، والله أكبر » .

١٤٩ – وقوله سبحانه : « سيماهم فى وجوههم » [٣]. روى سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد قال : « الخشوع والتواضع » .

سورة الذاريات

١٥٠ – يقول الله تعالى : « إنَّ المُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وعُيُونٍ . آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ » [٤]. حدثنا سفيان قال فى هذه الآية : « من ثواب الفرائض . . »

إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ . قال : كانوا متطوعين .

١٥١ – وقوله سبحانه : « كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ » [٥]
روى سفيان عن منصور عن إبراهيم ، قال : « كانوا قليلا ما ينامون » .

١٥٢ – وقوله تعالى : « فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ »[٦] . حدثنا أيوب بن سويد ، عن الثورى قال : الإسلام والإيمان سواء ، ثم قرأ الآية :

---

(١) الزخرف : آية ٢٨ .
(٢) الفتح آية : ٢٦ .
(٣) الفتح آية : ٢٩ .
(٤) الذاريات آية . ١٥ ، ١٦ .
(٥) الذاريات آية · ١٧ .
(٦) الذاريات آية : ٣٥ ، ٣٦ .

« فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » .

سورة الطور

١٥٣ – يقول الله تعالى : « والَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَمَا أَلَتناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ »(٣) .

روى سفيان بسنده عن ابن عباس قال

إن الله تبارك وتعالى ، ليرفع ذرية المؤمن فى درجته ، وإن كانوا دونه فى العمل ، لتقربهم أعينهم ، ثم قرأ : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء » .

سورة الملك

١٥٤ – يقول الله تعالى : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »(١) . حدثنا مؤمل قال : سمعت سفيان يقول فى قوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » قال : « الزهد فى الدنيا » .

سورة الجن

١٥٥ – يقول الله تعالى : « فَلا يَخافُ بَخْساً ولا رَهَقاً » (٢) قال

---

(١) الطور آية : ٢١ .
(٢) الملك آية : ٢ .
(٣) الجن آية : ١٣ .

سفيان : فلا يخاف بخساً ولا رهقاً » قال : يبخس حقه كله ، « ولا رِهقاً » يبخس بعض حقه » .

سورة الإنسان

١٥٦ – يقول الله تعالى : « وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ، ومُلْكاً كَبِيراً »(١) . قال « استئذان الملائكة عليهم » .

سورة الانفطار

١٥٧ – يقول الله تعالى : « إنَّ الأبْرارَ لَفِى نَعِيمٍ »(٢) . عن يحيى بن يمان يقول :

خرجت إلى مكة ، فقال لى سعيد بن سفيان :

أقرئ أبى السلام ، وقل له : يقدم ، فلقيت سفيان بمكة ، فقال : ما فعل سعيد ؟

فقلت : صالح يقرئك السلام ويقول لك أقدم .

فتجهز بالخروج وقال :

« إنما سموا الأبرار ، لأنهم بروا الآباء والأبناء » .

سورة الطارق

١٥٨ – يقول الله تعالى : « فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ » (٣) . حدثنا

---

(١) الإنسان آية : ٢٠ .

(٢) الانفطار آية : ١٣ .

(٣) الطارق آية : ١٠ .

ضمرة عن سفيان قال :

« القوة » العشيرة . والناصر ، الحليف » .

سورة الصافات

١٥٩ – يقول الله تعالى :

«سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين » (١). عن سفيان بسنده عن على قال :

« من أحب أن يكتال له بالمكيال الأوفى ، فليقرأ آخر مجلسه ، أو حين يقوم :

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » (٢) .

سفيان الزاهد العابد

من دعاء أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه ·

« اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ، ولا تجعلها فى قلوبنا » .

ومن دعائه أيضاً :

« اللهم وسع على رزقى فى دنياى ، ولا تحجبنى بها عن أخراى » .

---

(١) الصافات آية : ١٨٠ – ١٨٢ .

(٢) أخرنا سورة الصافات عن مكانها فى القرآن الكريم لنختم هذا الفصل بالآية القرآنية الكريمة : سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وهذا النسق من الاتصال بالدنيا هو النسق الصادق ، وعلى هذا الهدى ، وهو الهدى القرآنى ، سار سفيان الثورى فى زهده .

يروى بشر بن الحارث أن سفيان الثورى سئل :

أيكون الرجل زاهداً ، ويكون له المال ؟

قال : « نعم ، إن كان إذا ابتلى صبر ، وإذا أعطى شكر » .

وأمر الزهد فى الدنيا يلتبس على كثير من الناس ، يظن بعضهم أنه التجرد من كل شيء ، والأمر ليس كذلك عند الصوفية ، ولم يكن كذلك عند الصحابة ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه ، صاحب تجارة وثراء ، وكان عثمان رضى الله عنه صاحب مال وثراء ، وكان ثراء عبد الرحمن بن عوف ثراء عريضاً ، وكانوا زهاداً ؛ أى أن المال لم يكن يستعبدهم .

لقد ملكوا المال ولم يملكهم المال ، وكانوا متحققين بقول الله تعالى :

« لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ ولاَ تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » .

وكان من مظاهر زهدهم الجميلة ، أن أبا بكر رضى الله عنه ، جاء فى يوم من الأيام بماله كله ، متبرعاً به فى سبيل الله ، ولما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ماذا أبقيت لعيالك ؟ قال :

أبقيت لهم الله ورسوله .

ويأتى سيدنا عثمان بمال كثير ، فيضعه فى حجر الرسول صلى الله عليه وسلم ، متبرعاً به فى سبيل الله ، فيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكثرته التى تدل على سماحة سيدنا عثمان ، والتى ستيسر أمر

تجهيز الجيش ، ويضع صلوات الله وسلامه عليه ، يده فى المال يجول بها فيه هنا وهناك ويقول :

« اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

ويقول أيضاً :

« ما على عثمان ما فعل بعد اليوم » .

ويتبرع عبد الرحمن بن عوف بقافلة ضخمة من الجمال ، تحمل بُرًّا ، وألواناً كثيرة من المأكول والملبوس :

يتبرع بالجمال وبما حملت الجمال ، صدقة لوجه الله ، لا يطلب عليها من الناس جزاء ولا شكوراً .

لقد كانوا أثرياء ، وكانوا زهاداً .

ومن طريف ما يروى فى ذلك ويوضحه ، ما رواه ابن عطاء الله السكندرى ، عن عارف بالله من كبار الأثرياء ، ولكن الدنيا كانت فى يده لا فى قلبه .

يقول ابن عطاء الله :

« « وقد يكون حجاب الولى كثرة الغنى ، وانبساط الدنيا عليه »

وقال بعض المشايخ :

كان رجل بالمغرب من الزاهدين فى الدنيا ، ومن أهل الجد والاجتهاد ، وكان عيشه مما يصيده من البحر ، وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ، ويتقوت ببعضه .

فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب ، فقال له هذا الشيخ : إذا دخلت إلى بلد كذا . . . فاذهب إلى أخى

فلان ، فأقرئه منى السلام ، وتطلب الدعاء منه لى فإنه من أولياء الله تعالى ، قال :

فسافرت حتى قدمت تلك البلدة ، وسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك ، فتعجبت من ذلك ، وطلبته ، فقيل لى : هو عند السلطان ، فازداد تعجبى ، فبعد ساعة ، وإذا هو هو آت فى أفخر ملبس ، ومركب ، وكأنما هو ملك فى موكبه ، قال :

فازداد تعجبى أكثر من الأول ، قال :

فهممت بالرجوع ، وعدم الاجتماع به ، ثم قلت :

لا يمكننى مخالفة الشيخ ، فاستأذنت فأذن لى ، فلما دخلت ، رأيت ما هالنى من العبيد والخدم ، والشارة الحسنة ، فقلت له :

أخوك فلان . . . يسلم عليك ، قال :

جئت من عنده ؟

قلت : نعم .

قال : إذا رجعت إليه ، قل له :

إلى كم اشتغالك بالدنيا ؟ وإلى كم إقبالك عليها ؟ وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها ؟

فقلت : وهذا والله أعجب من الأول .

فلما رجعت إلى الشيخ قال :

اجتمعتَ بأخى فلان ؟

قلت : نعم . فأعدت عليه ما قال ، فبكى طويلا وقال :

صدق أخى فلان . . .

« هو غسل الله قلبه من الدنيا ، وجعلها فى يده ، وعلى ظاهره ، وأنا أخذها من يدى وعندى إليها بقايا التطلع » ا هـ

ولقد كان سفيان يحث على الكسب ، ويدعو إلى الزهد ، ومن حثه على الكسب والعمل ، ما حدث به : عن مبارك أبو حماد قال : سمعت سفيان يقول لعلى بن الحسن فيما يوصيه :

يا أخى : عليك بالكسب الطيب ، وهو ما تكسب بيدك ، وإياك وأوساخ (١) الناس أن تأكله ، أو تلبسه . . فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى (٢) . ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه ؛ ويا أخى إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك ، وأكرمت بعض النـاس ، وأهنت بعضهم ، مع ما ينزل بك يوم القيامة ، فإن الذى يعطيك شيئاً من ماله ، فإنما هو وسخه ، وتفسير وسخه ، تطهير عمله من الذنوب ، وإن تناولت من الناس شيئاً ، إن دعوك إلى منكر أجبتهم . . .

يا أخى : جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس ، وكثير من العبادة . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« لو أن أحدكم أخذ حبلا ثم احتطب حتى يَدْبَرَ (٣) ظهره كان خيراً له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه » .

---

(١) أوساخ الناس هو الصدقة .

(٢) يتكلم بهوى من يتصدقون عليه منحرفاً عن الحق .

(٣) يبلى ويذهب .

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال :

« من عمل منكم حمدناه ، ومن لم يعمل اتهمناه » .

وقال : يا معشر القراء !

ارفعوا رءوسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما فى القلب ، استبقوا فى الخيرات ، ولا تكونوا عيالا على الناس ، فقد وضح الطريق .

وقال على بن أبى طالب :

« إن الذى يعيش من أيدى الناس كالذى يغرس شجرة فى أرض غيره » .

فاتق الله يا أخى ، فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلا عند الناس ، والمؤمنون شهود الله فى الأرض .

وإياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه فى طاعة الله ، فإن تركه فريضة من الله واجبة ، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً .

أرأيت رجلا أصاب ثوبه بول ، ثم أراد أن يطهره ، فغسله ببول آخر ، أترى كان ذلك يطهره ؟ كلا !

إن القذر لا يطهر إلا بطيب ، فكذلك لا تمحى السيئة إلا بالحسنة ، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب .

وإن الحرام لا يقبل فى شىء من الأعمال ، وهل عمل أحد ذنباً فمحاه بذنب ؟ » اه

ويقول سفيان :

« ليس الزهد فى الدنيا بلبس الخشن ، ولا أكل الخشن ، إنما الزهد فى الدنيا قصر الأمل » .

ويقول مرة أخرى فيما رواه وكيع :

« الزهد فى الدنيا ، قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا لبس العباء » .

ومع هذا فإن سفيان يرى تهافت الناس على الدنيا ، وذلتهم فى طلبها ، فيحاول ما استطاع أن يصرفهم عن المهانة والذلة ، وأن يبين لهم خسة هؤلاء الذين يذلون لشهواتهم ، ويذلون للأثرياء ، والأمراء والملوك .

ونحن نذكر هنا كثيراً مما روى عنه فى ذلك ، ولكن لا يعزب عن ذهننا أنه لا يرى أن الزهد يتنافى مع الثراء .

عن ناجية قال : سمعت الثورى يقول :

« إنى لأعرف حب الرجل للدنيا من تسليمه على أهل الدنيا »

عن ابن قادم يقول : سمعت سفيان الثورى يقول :

« يا قوم راقبوا الله فإنما هى لحظة وقد يقبض اللبيب »

عن سفيان الثورى قال :

« من أحب الدنيا وسر بها نزع خوف الآخرة من قلبه » .

عن الغريابى يقول : سمعت الثورى يقول :

« لنعمة الله علىّ فيما زوى عنى من الدنيا ، أفضل من نعمته فيما أعطانى » .

عن عبد الواحد عن سفيان قال :

إنما هو اختيار أو اختبار أو عقوبة . قال:فحدثت به محموداً أو ناظرته فيه ، فقلت له : الاختيار ينبغى أن ترضى به ، والاختبار ينبغى أن

تصبر عليه ، والعقوبة ينبغى أن تتوب منها » .

قال بشر بن الحارث : قال سفيان الثورى لبكر العابد ، يا بكر خذ من الدنيا لبدنك ، ومن الآخرة لقلبك » .

عن يحيي بن يمان ، قال : كان سفيان الثورى يتمثل بهذا البيت .

باعوا جديداً جميلاً باقياً أبداً(١) .

بدارس خَلَق ، يا بئس ما اتجروا

عن يعلى يقول : سمعت سفيان يقول :

« ما أعطى رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له خذه ومثله حزناً »

إنما سميت الدنيا لأنها دنية ، وسمى المال لأنه يميل بأهله » .

الدنيا

عن إبراهيم بن سعد قال سمعت سفيان الثورى يقول :

أخبرنا رجل من الصالحين قال :

رأيت فى منامى عجوزاً شمطاء عليها من كل حلية ، فقلت من أنت ؟

فقالت : أنا الدنيا ، فقلت :

أعوذ بالله من شرك ، فقالت :

إن أردت أن يعيذك الله من شرى ، فابغض الدينار والدرهم »

عن عبد العزيز قال : قال سفيان الثورى :

---

(١) يريد : الآخرة .

كان يقال لا تكوين حريصاً على الدنيا تكن حافظاً » .

عن محمد بن صدقة بن أبي الزيداء اليتمى . قال :

كان سفيان الثورى يقول :

إن كنت ترجو الله فاقنع به فعنده الفضل الكثير البشير

من ذا الذى تلزمه فاقة وذخره الله العلى الكبير

عن المعافى بن عمران قال سمعت الثورى يقول :

ما ضرهم ما أصابهم فى الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة » .

عن أبى مسلم المستملى عن سفيان الثورى قال :

إذا زهد العبد فى الدنيا ، أنبت الله الحكمة فى قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها » .

عن بكر العابد : قال سمعت سفيان الثورى يقول :

« ازهد فى الدنيا ونم »

عن وكيع قال رأيت سفيان الثورى .

أملى على رجل شيئاً فقال : « هذا خير لك من ولايتك الرى » :

عن عبد الرزاق بمكة يقول :

سئل سفيان الثورى ، ما الزهد فى الدنيا ؟

قال : « سقوط المنزلة » :

عن عبد العزيز القرشى : سمعت سفيان يقول :

« عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا ، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك » .

متناثرات للثورى فى الزهد

عن عبد الرحمن بن مصعب قال : سمعت سفيان يقول :
أنا مهون على : « لا أبالى ما أكلت ولا أبالى ما لبست » .

عن سعد بن إبراهيم بن سعد عن أبيه . قال : كنت مع سفيان الثورى فى المسجد الحرام فكوم كومة من الحصا ، فاتكأ عليه ، ثم قال :
« يا إبراهيم هذا خير من أسِرَّتهم » .

عن يحيى بن يمان يقول : أتعب سفيان القراء بعده ، ولا رأينا مثل سفيان ، ولا أرى سفيان مثله ، أقبلت عليه الدنيا فانصرف بوجهه عنها » .

عن الغريابى حدثنا سفيان عن بعضهم قال : قال رجل :
« لنعمة الله فيما زوى عنى من الدنيا أعظم من نعمته على فيما أعطانى » .

عن ابن يمان قال : قال سفيان الثورى :
« إذا بلغكم عن موضع رخص ، فارتحلوا إليه فإنه أسلم لدينكم وأقل لتهمتكم » .

عن وكيع يقول : سمعت سفيان يقول :
« لا تجيبوا دعوة إلا دعوة من ترون أن قلوبكم تصلح على طعامه ».

عن أبى المبارك قال : قال سفيان :
إياكم والبطنة فإنها تقسى القلب ، واكظموا الغيظ ، ولا تكثروا الضحك فإنه يميت القلوب » .

عن أحمد بن أبى الحوارى قال : قال سفيان الثورى :
« لو أن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت ثم اهتممت بشىء من رزقى

لظننت أنى كافر » .

عن عبد الرحمن بن عبد الله البصرى قال : قال رجل لسفيان : أوصنى ؟

قال : اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها ، وللآخرة بقدر بقائك فيها والسلام » .

ومع كل ذلك وتمشياً مع المبدأ الإسلامى ، وهو أن الزهد معناه : ألا يسيطر حب الدنيا على قلب الشخص ، وألا تستعبد الدنيا الإنسان ، وأن الإنسان يصح أن يكون من أصحاب الملايين ، وهو مع ذلك زاهد ، لأنه يتحقق بقوله تعالى :

« لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، ولا تَفْرَحُوا بِمَا آتاكُمْ » . نقول إن الثورى لم يكن متزمتاً فى مأكل ولا ملبس :

قال وكيع :

رؤى سفيان الثورى يأكل الطباهج [١] وقال : إنى لم أنهكم عن الأكل ، ولكن انظر من أين تأكل ؟ وارتحل وانظر على من تدخل ، وتكلم ، وانظر كيف تتكلم ؟ كيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول :

« خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وكُلُوا واشْرَبُوا » .

وقال يحيى بن يمان : سمعت سفيان يقول :

كانوا أصحاب سمن وعسل . قال يحيى :

وذهب مع سفيان ، إلى رجل عائداً له ، فسمعته يقول لأهله :

ألطفوه وتعاهدوه ، ثم قال :

---

(١) الطباهج : طعام من بيض وبصل ولحم مشرح ، معرب تباهة بالفارسية .

كانوا يحبون أن يفرحوا أنفسهم . قال وسمعت سفيان يقول :
« إني أحب الرجل إذا وسع الله عليه أن يوسع على نفسه » .

متناثرات عن عبادته

يقول مؤمل :
« ما رأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفيان » .
وقال أبو أسامة :
« ما رأيت أحداً أخوف لله من سفيان » .
وقرأ سفيان ليلة : « إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ » . فخرج فاراً على وجهه حتى لحقوه ، واجتمعت بنو ثور ، على سفيان وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أى أقصر عن هذا .
قال يحيي بن يمان :
« رأيت سفيان يخرج يدور بالليل ينضح فى عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس » .
وعن عبد الرحمن بن مهدى يقول :
« ماعاشرت فى الناس رجلا هو أرق من سفيان » .
وقال ابن مهدى :
وكنت أرافقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا فى أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادى :
النار النار : شغلتنى النار عن النوم والشهوات ، كأنه يخاطب رجلاً فى البيت ، ثم يدعو بماء إلى جانبه ، فيتوضأ ثم يقول على إثر وضوئه :

اللهم إنك عالم بحاجتى غير معلم بما أطلب ، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار .

اللهم إن الجزع قد أرقنى من الخوف فلم يؤمنى ، وكل هذا من نعمتك السابغة علىَّ وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك .

إلهى قد علمت أن لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين ، ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إنى كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه ، قال ابن مهدى :

« وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه » .

وقال مزاحم بن زفر :

صلى بنا سفيان الثورى المغرب ، فقرأ حتى بلغ « إياك نعبد ، وإياك نستعين » ، بكى حتى انقطعت قراءته ، ثم عاد فقرأ « الحمد لله » .

وقال ابن وهب :

« رأيت الثورى فى المسجد الحرام بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة ، فلم يرفع رأسه حتى نودى لصلاة العشاء » .

وقال على بن فضيل :

« رأيت سفيان الثورى ساجداً حول البيت فطفت سبعة أسابيع[١] قبل أن يرفع رأسه » .

وحدث عبد الله بن زياد محمد بن بشر قال : سمعت سفيان يقول :

---

(١) أى سبع مرات كل مرة سبعة من الطواف بالبيت .

« إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا
وقال عبد الرحمن بن عبد الله البصرى ، قال سفيان الثورى :
« حُرمت قيام الليل ، بذنب أحدثته ، خمسة أشهر » .
وعن يحيى بن يمان قال : سمعت الثورى يقول :
« من بلغ سن النبى صلى الله عليه وسلم ، فليرتد لنفسه كفناً » .

ذكر ودعاء

ومن العبادة الذكر والدعاء :

روى سفيان الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن ابن أبى أوفى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال :

يا رسول الله إنى لا أستطيع أن أتعلم القرآن ، فعلمنى ما يجزينى ؟ قال : قل :

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ، فقبض على يمينه ، فقال هذا لله ، فمالى يا رسول الله ؟ قال : قل :

« اللهم اغفر لى ، وارحمنى وتب على وارزقنى » . قال :
وقبض على الأخرى فقال : النبى صلى الله عليه وسلم :
« أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » .

عن أبي خالد الأحمر ، قال : سمعت سفيان يقول :

أفضل الذكر ، تلاوة القرآن فى الصلاة ، ثم تلاوة القرآن فى غير الصلاة ، ثم الصوم ، ثم الذكر» .

عن يوسف بن أسباط يقول : سمعت سفيان الثورى يقول :

« ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول : لا إله إلا الله ، ولا شيء يضاعف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله » .

عن خلف بن تميم قال : دخل إياس بن عمرو مسجد سفيان الثورى فقال :

أبلغك يا أبا عبد الله أن قَوْلَ لا إله إلا الله عشر حسنات ؟ والحمد لله ، والله أكبر ، عشر ؟

فقال : كذا أبلغنا ، قال : فما تقول فيمن كسب ثلاثين ألف درهم من غير حقها ، وقال : أقعد وأسبح وأحمد وأكبر حتى أعمل من الحسنات بعدد هذه ؟

فقال سفيان الثورى :

« فليردها قبل ، فإنه لا يقبل له ذكر إلا بردها » .

عن يحيى بن يمان قال : اطلعت على سفيان الثورى فى بيته فسمعته يقول :

« سترك الجميل الذى لم يزل ، سترك الجميل الذى لم يـزل » .

عن الحارث قال :

كلمتان لم يكن يدعهما سفيان فى مجلس : « يا رب سلم سلم يا رب عفوك عفوك » فقلت لابن منصور الحارث : سمعته من الثورى ؟

فقال : « نعم » .

عن أحمد بن يونس قال : كان سفيان الثورى إذا أكل قال : « الحمد لله الذى كفانا المؤونة ، وأوسع علينا فى الرزق » .

عن يزيد بن أبى الحكم ، قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« يا من إذا سئل رضى ، وإذا لم يسأل غضب ، ولا يكون هذا أحد سواه » .

وكان سفيان الثورى يقول كثيراً :

« اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشيداً يعز فيه وليُّك ، ويذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ورضاك » .

عن أحمد بن عبد الله بن يونس قال : سمعت من سفيان الثورى ما لا أحصى يقول :

« اللهم سلم سلم ، اللهم سلمنا منها إلى خير ، اللهم ارزقنا العافية فى الدنيا والآخرة » .

عن مؤمل بن إسماعيل قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« الستر من العافية » .

عن الأشجعى عن سفيان قال : قيل له فى خلافة أبى جعفر :

يا أبا عبد الله ! لو دعوت بدعوات ؟ قال :

« ترك الذنوب هو الدعاء » .

الأخلاق

لقد حاول الفلاسفة العقليون أن يرسموا للأخلاق منهجاً ، وأن يقعّدوا للأخلاق قواعد ، وأن يضعوا لها موضوعاً يلتزم .

وبدءوا – منفصلين عن الدين – يتساءلون عن أهداف الإنسان من سلوكه .

وأجمعوا على أن هدف الإنسان من سلوكه إنما هو :

« السعادة » .

ثم اختلفوا طرائق ومذاهب فى :

١ – تحديد السعادة .

٢ – الطريق الموصل إلى السعادة .

وكان سقراط – فى التاريخ الواضح – من أوائل العقليين الذين بدءوا فى تحديد السعادة ، وفى رسم الطريق الموصل إليها ،

إنها الرضا فيما يرى سقراط .

والرضا يتأتى عن تحديد الرغبات بحيث لا يرغب الإنسان إلا فيما يستطيعه .

لماذا يشقى الإنسان ؟

لأن له رغبة لم يحققها .

فإذا حدد كل إنسان آماله ومطامحه ورغباته ، بحسب استطاعته حيث لا تتعداها عاش سعيداً .

وأخفق مذهب سقراط هذا ، حتى عند أخص تلاميذه ، وهو

أفلاطون ، فقد رسم مذهباً للسعادة والسلوك غير مذهب أستاذه .

بل رسم عدة مذاهب حسب تطوره الفكرى الذى استمر طيلة حياته ، فى صيرورة متتابعة ، لا تستقر على رأى ، ولو طال به الزمن لـرسم مذاهب أخرى غير التى نعرفها عنه .

وأخفقت جميع مذاهب أفلاطون فى النظرة الفاحصة لتلميذه أرسطو ، فقد حاول أن يرسم أيضاً مذهباً للفضيلة ، ومنهجاً للسلوك من أجل الوصول إلى السعادة ، وأخفق مذهبه إخفاقاً بيناً . . . وهكذا إلى الآن : كلما جاء فيلسوف عقلى بنى فى الفلسفة مذهباً أخلاقيًّا يرى أنه كفيل بسعادة الإنسان فرداً والسعادة الإنسانية جماعة أو جماعات .

بيد أن هذه المذاهب لم تصل بالأفراد ، ولا بالإنسانية إلى السعادة ، ولعل الكثيرين ممن يعالجون هذه الموضوعات يشعرون بالشقاء أكثر من غيرهم .

وإذا كانت المذاهب العقلية قد أخفقت فى رسم طريق السعادة فإن أهل الإيمان الصادق الذين حققوا إيمانهم سعدوا فى حياتهم ، وعبروا عن هذه السعادة بقولهم مثلا :

« نحن فى لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بسيوفهم » .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى – وهو أحكم الحكماء – قد حدد السعادة ، وحدد الطريق إليها ، وضمن لمن اتبع الطريق وسلك سبيله ، واستقام على صراطه . . . ضمن له السعادة فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة .

« مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبةً

ولَنَجزِ يَنَّهُمْ أجْرَهُمْ بِأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ »[١].

« ألا إِنَّ أوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ ، لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ ، ذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمِ »[٢].

« إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ ألاَّ تَخافُوا ولا تَحْزَنُوا وأبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أوْلياؤُكُمْ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وفِى الآخِرَةِ »[٣].

« وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ... »[٤]

واستجاب قوم للدعوة إلى ما يحييهم حياة طيبة ، فحققوا الرضا والسكينة والطمأنينة .

والرضا والسكينة ، والطمأنينة ، والحياة الطيبة ، وعدم الخوف ، وعدم الفزع ، وعدم الحزن ، والأمن . . . كل هذه معان ضمنها الله لمن حقق له العبودية الصادقة .

وأراد سفيان الثورى أن تسير الأمة إلى الهدى ، وأن تسلك سبيل الله فيتحقق لكل إنسان قسط من السعادة ، بقدر ما يحقق من خطوات فى الطريق .

واستمر سفيان طيلة حياته يبشر بالفضيلة ، وبالتقوى ويدعو إلى الخير ملتزماً فى كل ذلك السنن الدينى المستقيم . .

لقد كان يبشر بذلك فى كلماته ، وفى مواعظه ، وفى نصائحه ، وفى

---

(١) النحل آية : ٩٧ .
(٢) يونس آية : ٦٢ – ٦٤ .
(٣) فصلت آية : ٣٠ ، ٣١ .
(٤) الطلاق آية : ٢ ، ٣ .

خطاباته ، وكان يبشر بذلك بسلوكه المهتدى .

ونحن هنا نقيد ما تناثر من ذلك فى مختلف الكتب .

روى وكيع عن سفيان قال :

« ما عالجت شيئاً قط أشد علىَّ من نفسى ، مرة على ، ومرة لى »

وعن عبد الله ، أن رجلاً كان يتبع سفيان الثورى فيجده أبداً يخرج رقعة ينظر فيها ، فأحب أن يعلم ما فيها ، فوقع فى يده الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : سفيان اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل .

وعن ضمرة بن ربيعة قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« كان يقال حسن الأدب يطفئ غضب الرب عز وجل » .

وعن ابن فضيل قال : سمعت سفيان يقول :

« السرائر ، السرائر » .

وعن الغريابى حدثنا سفيان قال : كان يقال :

« ومن كانت سريرته أفضل من علانيته ، فذلك الفضل ، ومن كانت سريرته شراً من علانيته ، فذلك الجور » .

عن عمرو بن محمد العبقرى يقول سمعت سفيان الثورى يقول :

« بلغنى أن العبد يعمل العمل سراً فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه ، فيكتب فى العلانية ، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت فى الرياء » .

عن يحيى بن سعيد القطان يقول سمعت سفيان الثورى يقول :

« إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة » .

حدثنا محمد بن يزيد قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« بلغنى أنه يأتى على الناس زمان تمتلئ قلوبهم فى ذلك الزمان ، من حب الدنيا ، فلا تدخله الخشية . قال سفيان : وأنت تعرف ذلك إذا ملأت جراباً من شيء حتى يمتلئ ، فأردت أن تدخل فيه غيره لم تجد لذلك من خلاء » .

ولقد حاول سفيان فى خطاباته ورسائله إلى إخوانه وأصدقائه أن يذكرهم دائماً بالله ويحثهم على حسن الخلق وعلى طهارة النية ومن خطاباته فى ذلك ما يلى :

من خطاباته

عن مبارك بن سعيد قال : كتب سفيان إلىَّ ، ، أما بعد : « فأحسن القيام على عيالك ، وليكن الموت من بالك والسلام » .

وعن محمد بن جابر الضبي قال : سمعت ابن المبارك ، يقول : كتب إلى سفيان الثورى : « بث علمك واحذر الشهرة » .

وكتب رجل من إخوان سفيان الثورى إلى سفيان الثورى ، أن عظنى وأوجز ، فكتب إليه : « عافانى الله وإياك من السوء كله ،

يا أخى إن الدنيا غمها لا يفنى ، وفرحها لا يدوم ، وفكرها لا ينقضى ، فاعمل لنفسك حتى تنجو ، ولا تتوان فتعطب ، والسلام » .

عن يوسف بن أسباط قال :

كان سفيان إذا كتب إلى رجل كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من سفيان بن سعيد إلى فلان بن فلان ، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل تبارك وتعالى ، له الملك ، وله

الحمد ، وهو على كل شيء قدير ..

أما بعد : فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، جعلنا الله وإياك من المتقين » .

وكتب إلى محمد بن عبد الرحمن :

من سفيان بن سعيد إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب .

« سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ،

أما بعد : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً ، وعليك بتقوى الله عز وجل » .

رسالة الثورى إلى عباد بن عباد

كتب سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد فقال :

من سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد :

« سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد : فإني أوصيك، بتقوى الله ، فإن اتقيت الله عز وجل كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً ، سألت أن أكتب إليك كتاباً أصف لك فيه خلالاً تصحب بها أهل زمانك وتؤدى إليهم ما يحق لهم عليك ، وتسأل الله عز وجل الذى لك .

وقد سألت عن أمر جسيم ، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل ، بل لا أعلم مكان أحد ، وكيف يستطاع ذلك ، وقد كدر هذا الزمان .

إنه ليشتبه الحق والباطل ، ولا ينجومن شره إلا من دعا بدعاء الغريق ،

فهل تعلم مكان أحد هكذا ؟

وكان يقال : يوشك أن يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم ، فعليك بتقوى الله عز وجل ، والزم العزلة ، واشتغل بنفسك ، واستأنس بكتاب الله عز وجل ، واحذر الأمراء ، وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم ، فإن استطعت أن تأمر بخير فى رفق فإن قبل منك حمدت الله عز وجل ، وإن رد عليك أقبلت على نفسك ، فإن لك فيها شغلا ، واحذر المنزلة وحبها ، فإن الزهد فيها أشد من الزهد فى الدنيا . وبلغنى أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان ، وكان (لهم) من العلم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وبصر ، وقلة صبر وقلة أعوان على الخير ، مع كدر من الزمان وفساد من الناس .

وعليك بالأمر الأول[١] ، والتمسك به ، وعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

إياكم والطمع فإن الطمع فقر ، واليأس غنى ، وفى العزلة راحة من خلطاء السوء .

وكان سعيد بن المسيب يقول :

العزلة عبادة ، وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة فى تركهم فيما نرى .

وإياك والأمراء ، والدنو منهم ، وأن تخالطهم فى شىء من الأشياء .

وإياك أن تخدع فيقال لك :

---

(١) التقوى .

تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة – فإن تلك خدعة إبليس ، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً . وكان يقال :

اتقوا فتنة العابد الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم .

وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله ، أو يسمع منه .

وإياك وحب الرياسة ، فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة[1] ، واحذر الرئاء فإن الرئاء أخفى من دبيب النمل .

وقال حذيفة :

سيأتى على النـاس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدرى أيهما يركب ، وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تزال يد الله عز وجل على هذه الأمة ، وفى كنفه ، وفى جواره ، ما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم ، وما لم يبر خيارهم أشرارهم ، وما لم يعظم أبرارهم فجارهم ، فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، وأنزل بهم الفاقة ، وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ، وقال :

إذا كان ذلك ، لا يأتيهم أمر يضجون منه ، إلا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك .

فليكن الموت من شأنك ، ومن بالك ، وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت ، فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دنياك .

---

(١) الخبراء .

وقال عمر :

أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه فى كثير قلله ، وإن ذكرتموه فى قليل كثره ، واعلموا أنه قد حان للرجل يشتهى الموت ، أعاذنا الله وإياك من المهالك ، وسلك بنا وبك سبيل الطاعة .

وصاياه لعلى بن الحسن

لقد كان الثورى معنياً عناية خاصة بعلى بن الحسن ، ولذلك كثرت وصاياه له ، ونحن نجمع ما وجدناه منها وكلها نفيسة ذكية .

عن مبارك أبو حماد ، قال سمعت سفيان الثورى يقرأ على على ابن الحسن :

واعلم أن السنة سُنتان ، سنة أخذُها هدى وتركها ضلالة ، وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة ، وأن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وأن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه يحاسب العبد يوم القيامة بالفرائض ، فإن جاء بها تامة قبلت فرائضه . ونوافله ، وإن لم يؤدها وأضاعها لحقت النوافل بالفرائض ، فإن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه .

وأولى الفرائض الانتهاء عن الحرام والمظالم ، وأن الله تعالى يقول فى كتابه : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا »(١) الآية . وقال : « إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ »(٢) .

---

(١) سورة النساء من آية : ٥٨ .

(٢) سورة النساء من آية : ٥٨ .

وقال تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى »(١).

وإنما عنى به التقوى عن المظالم أن تتناولوها فتنفقوها فى أعمال البر .

يا أخي عليك بتقوى الله ولسان صادق ، ونية خالصة ، وأعمال شتى صالحة ، ليس فيها غش ولا خدعة ، فإن الله يراك وإن لم تكن تراه ، وهو معك أينما كنت ، لا يسقط(٢) عليه شيء من أمرك ، لا تخدع الله فيخدعك ، فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان ونفسه لا تشعر ، ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيئ ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ، ولا تبغين على أحد من المسلمين ، فإن الله تعالى يقول :

« يأيها النَّاسُ إنَّمَا بَغْيُكُمْ علَى أنْفُسِكُمْ »(٣).

ولا تغش أحداً من المؤمنين ، فقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« من غش مؤمناً فقد برئ من المؤمنين » .

ولا تخدعن أحداً من المؤمنين فيكون نفاقاً فى قلبك ، ولا تحسدن ولا تغتابن فتذهب حسناتك ، وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة كما يتوضأ من الحدث .

وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك ، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح فيما بينك وبين الناس ، واعمل لآخرتك ، يكفك الله أمر دنياك .

بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً » اهـ .

---

(١) البقرة من آية : ١٩٧ .

(٢) لا يخفى .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٣ .

وروى مبارك أبو حماد – مولى إبراهيم بن سام – قال سمعت سفيان الثورى يقول فيما أوصى به علىَّ بن الحسن السلمى :

« عليك بالصدق فى المواطن كلها ، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها ، فإنها وزر كله .

وإياك والعجب ، فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب ، ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه ، كمثل طبيب به داء ، لا يستطيع أن يعالج داء نفسه ، وينصح لنفسه ، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم ؟

فهذا الذى لا يشفق على دينه ، كيف يشفق على دينك ؟

ويا أخى إنما دينك لحمك ودمك (١) .

ابك على نفسك وارحمها ، فإن أنت لم ترحمها لم ترحم ، وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا ، ويرغبك فى الآخرة .

وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون فى حديث الدنيا ، فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك ، وأكثر ذكر الموت ، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك ، وسل الله السلامة لما بقى من عمرك .

ثم عليك يا أخى بأدب حسن ، وخلق حسن ، ولا تخالفن الجماعة(٢)، فإن الخير فيها . . .

وانصح كل مؤمن إذا سألك فى أمر دينك ، ولا تكتمن أحداً من النصيحة شيئاً إذا شاورك فيما كان لله فيه رضاً .

وإياك أن تخون مؤمناً ، فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله .

وإذا أحببت أخاك فى الله فابذل له نفسك ومالك .

---

(١) إنه كيانه كله .

(٢) أى الذين يتبعون الحق .

وإياك والخصومات والجدال والمراء ، فإنك تصير ظلوماً خواناً أثيماً .

وعليك بالصبر فى المواطن كلها ، فإن الصبر يجر إلى البر ، والبر يجر إلى الجنة .

وإياك والحدة والغضب ، فإنما يجران إلى الفجور ، والفجور يجر إلى النار .

ولا تمارين عالماً فيمقتك ، وإن الاختلاف إلى العلماء رحمة ، والانقطاع عنهم سخط الرحمن ، وإن العلماء خزان الأنبياء ، وأصحاب مواريثهم(١).

وعليك بالزهد ، يبصرك الله عورات الدنيا .

وعليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك(٢)، تكن سليماً ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك . وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر تكن حبيب الله ، وابغض الفاسقين تطرد به الشيطان ، وأقل الفرح والضحك(٣) بما تصيب من الدنيا تزدد قوة عند الله ، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك ،وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك ، وابك على خطيئتك تكن من أهل الرفيق الأعلى ،

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

(٢) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه النسائى وصححه عبد الحسن ابن على : « دع ما يريبك إلى مالا يريبك » .

(٣) فرح البطر والخيلاء بالدنيا حينما تقبل وضحك العابثين المستهترين لأن الدنيا أقبلت .

ولا تكن غافلا فإنه ليس يغفل عنك ، وإن لله عليك حقوقاً وشروطاً كثيرة ، وينبغي لك أن تؤديها ، ولا تكونن غافلا عنها ، فإنه ليس يغفل عنك ، وأنت محاسب بها يوم القيامة ، وإذا أردت أمراً من أمور الدنيا ، فعليك بالتؤدة ، فإن رأيته موافقاً لأمر آخرتك فخذه ، وإلا فقف عنه ، حتى تنظر إلى من أخذه كيف عمله فيها ، وكيف نجا منها ؟

واسأل الله العافية ، وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة ، فشمر إليها ، وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان ، ولا تكونن أكولاً لا تعمل بقدر ما تأكل ، فإنه يكره ذلك ولا تأكل بغير نية ، ولا بغير شهوة ، ولا تحشون بطنك فتقع جيفة لا تذكر الله . . .

وإياك والطمع فيما فى أيدى الناس ، فإن الطمع هلاك الدين .

وإياك والرغبة ، فإن الرغبة ، تقسى القلب .

وإياك والحرص على الدنيا ، فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة .

وكن طاهر القلب نقى الجسد من الذنوب والخطايا ، نقى اليدين من المظالم ، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة ، خالى البطن من الحرام ، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت .

كف بصرك عن الناس ، ولا تمشين بغير حاجة ، ولا تكلمن بغير حكم ، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك ، وكن خائفاً حزيناً لما بقى من عمرك ، لا تدرى ما يحدث فيه من أمر دينك .

أقل العثرة ، واقبل المعذرة ، واغفر الذنب .

كن ممن يرجى خيره ، ويؤمن شره .

لا تبغض أحداً ممن يطيع الله .

كن رحيماً للعامة والخاصة ، ولا تقطع رحمك ، وصل من قطعك ، وصل رحمك وإن قطعك ، وتجاوز عمن ظلمك ، تكن رفيق الأنبياء والشهداء ، وأقل دخول السوق[١] فإنهم ذئاب عليهم ثياب ، وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس ، وإذا دخلتها فقد لزمك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإنك لاترى فيها إلا منكراً ، فقم على طرفها فقل :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

فقد بلغنا أنه يكتب لقائلها بكل من فى السوق من عجمى أو فصيح ، عشر حسنات ، ولا تجلس فيها ، واقض حاجتك وأنت قائم يسلم لك دينك .

وإياك أن يفارقك الدرهم فإنه أتم لعقلك . . .

وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان ، وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل ، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور ، ويفتح عليك باب العبادة ، وعليك بقلة الكلام يلن قلبك ، وعليك بطول الصمت تملك الورع ، ولا تكونن حريصاً على الدنيا ، ولا تكن حاسداً ، تكن سريع الفهم ، ولا تكن طعاناً تنج من ألسن الناس ،

---

(١) يمثل السوق كل ما فى النفس من شره وطمع ويظهر فى صورة واضحة ما فى النفوس من حرص على الربح ولو بطرق غير مشروعة ومن أجل المفاسد الكثيرة التى يشتمل عليها السوق كانت نصائح أسلافنا رضى الله عنهم بالبعد عنه .

وكن رحيماً تكن محبباً إلى الناس ، وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن غنيًّا ، وتوكل على الله تكن قويًّا ، ولا تنازع أهل الدنيا فى دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض ، وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر . . .

كن عفواً تظفر بحاجتك ، كن رحيماً يترحم عليك كل شيء.

يأأخى : لاتدع أيامك ولياليك ، وساعاتك ، تمر عليك باطلا ، وقدمْ من نفسك لنفسك ليوم العطش ، يأأخى فإنك لاتروى يوم القيامة إلا بالرضا من الرحمن ، ولا تنال رضوانه إلا بطاعتك ، وأكثر من النوافل تقربك(١) إلى الله ، وعليك بالسخاء تستر العورات ، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال ، وعليك بكثرة المعروف يؤنسك الله فى قبرك ، واجتنب المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان .

جالس أهل الورع وأهل التقى ، يصلح الله أمر دينك ، وشاور فى أمر دينك الذين يخشون الله ، وسارع فى الخيرات يحول الله بينك وبين معصيتك ، وعليك بكثرة ذكر الله يزهدك الله فى الدنيا ، وعليك بذكر الموت يهون عليك أمر الدنيا ، واشتق إلى الجنة ، يوفق الله لك الطاعة ، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب .

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة ، وابغض أهل المعاصى يحبك الله والمؤمنون : شهود الله فى الأرض ، ولا تسبن أحداً من المؤمنين ، ولا تحقرن شيئاً من المعروف ، ولا تنازع أهل الدنيا فى دنياهم ، وانظر يا أخى أن يكون أول أمرك تقوى الله فى السر والعلانية ، واخش الله

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه : « وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » .

خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث ، ثم الحشر ، ثم الوقوف بين يدى الجبار عز وجل ، وتحاسب بعملك ، ثم المصير إلى إحدى الدارين ، إما جنة ناعمة خالدة ، وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه ، وارج رجاء من علم أنه يعفو أو يعاقب ، وبالله التوفيق ، لارب غيره .

وعن مبارك أبو حماد قال : سمعت سفيان الثورى يقرأ على علىّ ابن الحسن .

يا أخى اطلب العلم لتعمل به ، ولا تطلبه لتباهى به العلماء ، وتمارى به السفهاء ، وتأكل به الأغنياء ، وتستخدم به الفقراء ، فإن لك من علمك ماعملت به ، وعليك ماضيعت منه ، فقد بلغنا والله أعلم أنه من طلب الخير صار غريباً فى زماننا ، ولا تستوحش واستقم على سبيل ربك ، فإنك إن فعلت ذلك كان مولاك الله تعالى وجبريل وصالحو المؤمنين ، واشتغل بذكر عيوب نفسك عن ذكر عيوب غيرك ، واحزن على ماقد مضى من عمرك ، فى غير طلب آخرتك ، وأكثر من البكاء على ما قد أوقرت به ظهرك ، لعلك تتخلص منها ، ولا تمل من الخير وأهله ، ولا تتباعد عنهم ، فإنهم خير لك ممن سواهم ، ومَلَّ الجهال وباطلهم ، وتباعد عنهم ، فإنه لن ينجو من جاورهم إلا من عصم الله ، وإن أردت اللحاق بالصالحين فاعمل بأعمال الصالحين ، واكتف بما أصبت من الدنيا ، ولا تنس من لا ينساك[1]. ولا تغفل عمن قد وكل بك يحصى أثرك ، ويكتب عملك .

راقب الله فى سريرتك وعلانيتك ، وهو رقيب عليك ، واستح

---

(١) وهو الله سبحانه وتعالى .

ممن هومعك ، وهوأقرب إليك من حبل الوريد :

اعرف فاقة نفسك وحقارة منزلتها ، فإنك حقير فقير إلى ربك ، وابك على نفسك وارحمها ، فإن لم ترحمها لم ترحم ، ولا تغشهاولا توردها ، وخذ منها لك ، فإنك بيومك ولست بغدك ، وكأن الموت قد نزل بك ، ولا تغفل غفلة الغافلين والجاهلين ، وأكثر من البكاء على نفسك فلست من الضحك بسبيل ، إن عقلت ، فقد عير الله أقواماً فى كتابه بالضحك وترك البكاء ، فقال :

« أَفَمِنْ هَذا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ، وتَضْحَكُونَ ، ولا تَبْكُونَ ، وأَنْتُمْ سامِدُونَ »(١) .

ومدح أقواماً فى كتابه فقال :

« يَخِرُّونَ لِلْأذقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً »(٢) .

وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضى ، فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .

وقد بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« كم من نعمة لله فى عرق ساكن » .

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك ، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا ، وأهل الحرص ، وإخوان الشياطين الذين ينفقون أموالهم فى غير طاعة الله .

وإياك وما يفسد عليك دينك ، فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوى

---

(١) النجم آية : ٥٩ - ٦١ . (٢) الإسراء آية : ١٠٩ .

الألسن المكثرين للكلام .

وإياك وما يفسد عليك معيشتك ، فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص وأهل الشهوات .

وإياك ومجالسة أهل الجفاء ، ولا تصحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقى ؛ ولا تصحب الفاجرولا تجالسه ، ولا تجالس من يجالسه ، ولا تؤاكله ، ولا تؤاكل من يؤاكله ، ولا تحب من يحبه ، ولا تفش إليه سرك ، ولا تبسم فى وجهه ، ولا توسع له فى مجلسك ، فإن فعلت شيئاً من ذلك ، فقد قطعت عرى الإسلام .

وإياك وأبواب السلطان ، وأبواب من يأتى أبوابهم ، وأبواب من يهوى هواهم ، فإن فتنهم مثل فتن الدجال ، فإن جاءك منهم أحد ، فانظر إليه بوجه مكفهر ، ولا تبال منهم شيئاً فيرون أنهم على الحق ، فتكون من أعوانهم ، فإنهم لا يخالطون أحداً إلا دنسوه ، وكن مثل الأترجة ، طيبة الريح ، طيبة الطعم .

لا تنازع أهل الدنيا فى دنياهم ، تكن محبباً إلى الناس ، وإياك والمعصية فتستحق سخط الله (بعملها) ، واعلم أنه لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام ، جبل الله تربته بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأكرمه بسجود ملائكته ، وأسكنه جنته ، فأخرجه منها بذنب واحد ، واعلم يا أخى أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة بالمعاصى ؛ وأن داود عليه السلام خليفة الله فى الأرض ، نزل مانزل به بخطيئة واحدة ، ولوأنا عملنا مثلها لقلنا ليست بخطيئة .

فاتق الله يا أخى واجتنب المعاصى وأهلها ، فإن أهل المعاصى

استوجبوا من الله النقمة ، وكن مبذولا بمالك ونفسك لإخوانك ، ولا تغشهم في السر والعلانية ، وابغض الجهال ومجالسهم ، والفجار وصحبتهم ، فإنه لاينجومن جاورهم إلا من عصم الله . . . .

وإياك وخشوع النفاق وأن تظهر على وجهك خشوعاً ليس فى قلبك » .

وعن مبارك أبوحماد – مولى إبراهيم بن سام – قال :

سمعت سفيان الثورى يقرأ على على بن الحسن السليمى :

يا أخى لاتغبط أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة ، فإن أمامهم يوماً تزل فيه الأقدام ، وترعد فيه الأجسام ، وتتغير فيه الألوان ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب ، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر ، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات ، اجعل كسبك فيما يكون لك ، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك ، فإن الذى يقدم ماله ويعطى حق الله منه فماله ، له ، وأفضل منه .

والذى يخلف ماله ، ويضيع حق الله فيه فماله وبال عليه يوم القيامة .

اكسب حلالاً ، واجلس مع من كسبه من حلال ، وكل طعام من كسبه من حلال وليكن أهل مشورتك من كسبه من حلال ، فإن الورع ملاك الدين ، واستكمال أمر الآخرة ، واعلم أنه يا أخى لا يمتنع أحد عن الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه ، فإنما دينك لحمك ودمك ، فاجتنب الحرام ، ولا تجلس مع من يكسب الحرام ، ولا تأكل مع من كسبه من حرام ، ولا تدل أحداً على الحرام ، ولا تشيرن به إلى أحد ، فيأخذه ولا تورثه إلى أحد ، وانصح لكل بر وفاجر ألا يأخذه ،

فإن فعلت من ذلك شيئاً فأنت عون له ، والعون شريك . وإياك والظلم ، وأن تكون عوناً للظالم ، وأن تصحبه أو تؤاكله ، أو تبتسم فى وجهه ، أو تنال منه شيئاً ، فتكون عوناً له ، والعون شريك .

لا تخالفن أهل التقوى ولا تخادن أهل الخطايا ، ولا تجالسن أهل المعاصى ، واجتنب المحارم كلها ، واتق أهلها .

وإياك والأهواء ، فإن أولها وآخرها باطل ، ولكل ذنب توبة ، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة ، وإن الله غفور رحيم للتوابين ، حليم ودود .

وإياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية ، فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام ، والظلم ، فقال :

« يأيها الرسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالِحاً ، إنِّى بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (١). ثم قال للمؤمنين :

« يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ » (٢). ثم أجملها فقال :

« يَأَيُّها الناسُ كُلُوا مِمَّا فى الأرْضِ حَلالاً طَيِّباً ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » (٣).

واعلم يا أخى أنه لم يرض لأنبيائه ولا للمؤمنين ، ولا للمشركين حراماً ، ولا تتهاون بالذنب الصغير ، ولكن انظر من عصيت ؟

عصيت ربًّا عظيماً يعاقب على الصغير ، ويتجاوز عن الكبير ، وإن أكيس الكيس من يدخل الجنة بذنب عمله فنصبه بين عينيه ،

---

(١) المؤمنون آية : ٥١ .

(٢) البقرة آية : ٢٦٧ .

(٣) البقرة آية : ١٦٨ .

ثم لم يزل حذراً على نفسه من تلك الخطيئة حتى فارق الدنيا ودخل الجنة .

فكن يا أخي كيساً حذراً على مازل منك ومضى ، لاتدرى ماذا يفعل بك ربك فيه ، وما بقى من عمرك ، لاتدرى ماذا يحدث لك فيه ، فإن إبراهيم عليه السلام ، خليل الرحمن ، حذر على نفسه فسأل ربه فقال :

« واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ » (١).

وقال يوسف عليه السلام :

« تَوَفَّنِي مُسْلِماً وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين » (٢) .

وقال موسى عليه السلام :

« ربِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ » (٣) .

وقال شعيب عليه السلام : .

« وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا » (٤).

فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم ، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وعن ضمرة عن سفيان قال :

« إذا استكمل العبد الفجور ملك عينيه يبكى بهما متى شاء » .

وعن عبد الله بن داود الخريبي قال : سمعت سفيان الثورى يقول :

« إذا اشتريت شيئاً لاتريد أن تنيل جارك منه فواره » .

---

(١) إبراهيم آية : ٣٥ .

(٢) يوسف آية : ١٠١ .

(٣) القصص آية : ١٧ .

(٤) الأعراف آية : ٨٩.

عن عبد العزيز بن أبان يقول سمعت الثورى يقول :
« ما وجدنا شيئاً أنفع فى دين ولا دنيا من أخ موافق » .
وعن ابن خبيق قال : العمرى ، قال الثورى :
« ما أحسن تذلل الأغنياء فى مجالس الفقراء » .
« وما أقبح تذلل الفقراء فى مجالس الأغنياء » .
وقال العمرى :
« معاشر القراء كلوا الدنيا فقد مات سفيان الثورى » .
وعن أبى منصور – يعنى الحارث بن منصور – قال سفيان :
كان يقال : « يأتى على الناس زمان تموت فيه القلوب ، وتحيا الأبدان » .
عن أبى إسحق الفزارى يقول : سمعت سفيان الثورى يقول :
« البكاء عشرة أجزاء ، تسعة لغير الله ، وواحد لله . فإذا جاء الذى لله فى السنة مرة ، فهو كثير » .
وعن حفص بن غياث يقول :
« كنا نتعزى بمجلس سفيان الثورى عن الدنيا » .
وعن أبى أحمد الزبير قال : سمعت سفيان يقول :
كان يقال تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل ، والعالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون » .
وعن أبى شهاب قال :
كنت ليلة مع سفيان الثورى ، فرأى ناراً من بعيد فقال : ما هذا ؟
فقلت : نار صاحب الشرطة ، فقال :
اذهب بنا فى طريق آخر ، لا نستضىء بنارهم ، أو بنورهم » .

وعن خلف بن تميم الكوفى قال : سمعت سفيان الثورى يقول : « إن الرجل ليستعير من السلاطين الدابة والسرج ، أو اللجام ، فيتغير قلبه لهم » .

وعن عبد الرحمن المستملى عن سفيان الثورى قال :

قيل : أى شىء شر؟ قال :

« اللهم غفراً ، العلماء إذا فسدوا »

وعن الأشجعى عن سفيان قال :

« إنى لأظن لو أن رجلا هم بالكذب عرف ذلك فى وجهه »

عن إبراهيم بن سليمان الزيات العبد – بمكة – قال :

كنت جالساً مع سفيان فجعل رجل ينظر إلى ثوب كان على سفيان ثم قال :

يا أبا عبد الله ! أى شىء كان هذا الثوب ؟ فقال سفيان :

« كانوا يكرهون فضول الكلام » .

وقال سفيان الثورى :

أكرموا الناس على قدر تقواهم ، وتذللوا عند أهل الطاعة ، وتعززوا عند أهل المعصية ، واعلموا أن القراءة لاتحلو إلا بالزهد فى الدنيا » .

وعن أحمد بن يونس قال : سمعت رجلاً يقول لسفيان : يا أبا عبد الله ، أوصنى ، قال :

« إياك والأهواء ، إياك والخصومة ، إياك والسلطان » .

وعن سعيد بن صدقة أبى مهلهل قال :

أخذ بيدى سفيان الثورى ، فأخرجنى إلى الجبان [١] . فاعتزل ناحية عن طريق الناس ، فبكى ثم قال :

يامهلهل ، إن استطعت ألا تخالط فى زمانك هذا أحداً فافعل ، وليكن همك مرمة جهازك ، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء ، وارغب إلى الله فى حوائجك لديهم ، وافزع إليه فيما ينوبك ، وعليك بالاستغناء عن جميع الناس ، وارفع حوائجك إلى من لاتعظم الحوائج عنده ، فوالله ما أعلم اليوم بالكوفة أحداً أفزع إليه فى قرض عشرة دراهم ، فإنه إذا أقرضنى ثم كتبها على ، يذهب ويجىء ويقول : أقرضت سفيان كذا ، واقترض منى سفيان كذا . .

وكان سفيان يقول :

« إنى لأعرف حب الرجل للدنيا بتسليمه على أهل الدنيا » .

وعن الحسين بن جعفر يقول سمعت الثورى يقول :

لأن تدخل يدك فى فم التنين ، خير لك من أن ترفعها إلى ذى نعمة قد عالج الفقر » .

عن عبد العزيز بن أبى عثمان ، قال : قال سفيان :

« عليك بالقصد فى معيشتك ، وإياك أن تتشبه بالجبابرة . . .

وليكن أهل مشورتك أهل التقوى ، وأهل الأمانة ، ومن يخشى الله عز وجل » .

عن خلف بن تميم قال : سمعت سفيان يقول :

« بصر العينين من الدنيا ، وبصر القلب من الآخرة ، وإن الرجل

---

(١) الصحراء.

ليبصر بعينه فلا ينتفع ببصره ، وإذا أبصر بالقلب انتفع » .

عن عبد الوهاب السكرى قال :

« ما رأيت الفقير فى مجلس قط كان أعز منه فى مجلس سفيان الثورى ، ولا رأيت الغنى فى مجلس كان أذل منه فى مجلس سفيان الثورى » .

وعن طاهر بن خالد بن نزار ، قال : قال أبى :

كثيراً ما كنت أسمع سفيان الثورى يتمثل بهذين البيتين :

نروح ونغــدو لحاجاتنــا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المــرء حاجاتــه وتبقى لــه حاجة مابــقى

وعن وكيع قال : سمعت سفيان يقول :

« لو أن اليقين استقر فى القلوب ، لطارت شوقاً ، أو حزناً ، إما شوقاً إلى الله عز وجل وإما فَرَقاً من النار» .

عن وكيع عن سفيان قال :

« من دعاك وأنت تخاف أن يفسد عليك قلبك ودينك فلا تجبه » .

وقال سفيان :

كان يقال : « اتقوا فتنة العابد الجاهل ، والعالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون » .

خاتمة

لقد حقق سفيان الثورى الصورة الكريمة للداعية إلى الله سبحانه
عالى ، وذلك أنه راض نفسه على السلوك الفاضل ، حتى استقامت ،
خل فى إطار الآية القرآنية :
« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها » .
وراض نفسه على الدراسة الجادة الدائبة حتى وصل به الأمر أن أطلق
ليه : « أمير المؤمنين فى الحديث » .
لقد جاهد ما استطاع فى دائرة السلوك ، وفى دائرة العلم ، فاستحق
ن يكون فى جدارة خليفة من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقام بهذه الخلافة فى تواضع وفى خشية وفى صدق :
لقد وصل به صدقه وإخلاصه إلى درجة أنه كان إذا جلس للعلم
عجبه منطقه يقطع الكلام ويقوم ويقول :
« أخذنا ونحن لا نشعر » .
لقد تسلح بالخلق الفاضل ، وتسلح بالعلم النافع ، وأخذ يدعو إلى
له فى إخلاص تام ، أخذ يدعو إلى الله على بصيرة من أمره :
وذلك أنه فى دعوته كان متابعاً تماماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تخذاً له أسوة لا يحيد عن الاتباع ، ولا يحاول الابتداع ، والله سبحانه
عالى يبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى الله على بصيرة
ومن اتبعه ، يدعو الله أيضاً على بصيرة ، يقول سبحانه وتعالى :
« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحانَ اللهِ

وما أنا مِنَ المشْرِكِينَ » (١) .

وسار فى طريقه غير ناظر إلى دنيا : لم يحاول اقتناء الضياع أو إقامة القصور ، أو بناء العمارات ، ولم ير اللذة والنعيم ، إلا فى القيام بواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

إن نعيمه – كل نعيمه – كان فى هداية إنسان ، أو استقامة طالب .

لقد كان نعيمه فى كلمة حق يطلقها دون تعال أو كبرياء ، وكلمة صدق يرويها عن إمام الهدى وسيد المتقين صلوات الله وسلامه عليه .

لقد أهمته الدعوة الدينية فجعل حياته دعوة إلى الله ، واقتداء برسوله .

وعاش من عمل يده ، كفافاً ، وما كان يحب أو يود أكثر من الكفاف ، كان يتاجر ليكسب الحد الأدنى لحياته ، وعرضت عليه المناصب الكبرى فأباها ، وأرسلت له هدايا الملوك والأمراء فرفضها ، وعاش حياته لله وفى سبيل الله .

وحفظه الله من كل سوء ، وحماه من كل مكروه ، وشمله برعايته ، وذلك قانون عام أعلنه الله سبحانه أكثر من مرة فى القرآن الكريم ، وأعلنه سبحانه بشتى الأساليب وبمختلف الصور ، وأعلنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، أكثر من مرة فى الأحاديث الشريفة بشتى الأساليب وبمختلف الصور ، وهذا القانون هو :

إن من صدق فى اتجاهه إلى الله ، وفى الدعوة إليه يحفظه الله فلا يحزن إذا حزن الآخرون ، ولا يخاف أو يفزع إذا خاف أو فزع الآخرون ،

---

(١) يوسف آية : ١٠٨ .

ولا يحزن إذا حزن البعيدون عن الله :

« ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فى الْحَيَاة الدنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »(١).

« إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائِكَةُ ، ألاَّ تخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُون. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، ولَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ »(٢).

لقد أمر أبو جعفر المنصور أمراً جازماً صريحاً :

« إذا رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه » .

وبرغم هذا فإن الله حفظ سفيان : لم يمسسه سوء ، ولم ينله أذى .

وهذه الصورة الكريمة : صورة سفيان فى إخلاصه وصدقه ، وفى حماية الله له وحفظه وعنايته به ، ورعايته ، هى التى نقدمها إلى المخلصين الصادقين المتبعين للأسوة الحسنة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْــوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ، وذَكَرَ الله كَثيراً » (٣).

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) يونس آية : ٦٢ - ٦٤ .

(٢) فصلت آية : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) الأحزاب آية : ٢١ .

الفهرس

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٣٣٦٦
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 2919 – 9

١ / ٩٠ / ٣٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذا الكتاب

هذا الكتاب يقدم عرضاً مستفيضاً لسيرة العلماء المتصوفين، والأبطال المجاهدين، الذين رفعوا لواء الفضيلة فى كل عصر . . وأعلوا منار الدين والثقافة الروحية فى كل قطر، فكانوا نماذج فى مجاهداتهم وتضحياتهم.

وهى تكشف بجلاء عن شخصياتهم ومذاهبهم وما تركوا من آثار فكرية وروحية، تعد من خير ما أنتج الفكر الاسلامى فى مجال التعبد والزهد.

فهم بحق أمثلة صادقة، يجب أن يتخذ منهم أبناء هذا الجيل قدوة يلتمسون فيها أساليب الإصلاح العملية، ووسائل التثقيف الحقيقية . . لينهضوا بمجتمعهم على أسس قويمة من العلم والإيمان.



٢٠٠